



اخترنا لك ٨٣

تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم

محمّد عبد الحليم

الجزء الأول

يقسم محمّدة ورونة

اختبرنا لك ٨٢

فانح بنى اسرائيل من اسفارهم

موسى

بقلم
محمد عزة دروزة

الجزء الأول

مطابع شركة الاعلانات الشرقية



الرئيس جمال عبد الناصر

مقدمة

يندهش الذى يقرأ تاريخ بنى اسرائيل فى أسفار العهد القديم - التى يقدسها اليهود ؛ والتى دوت فى ظروف مقاربة من أحداث هذا التاريخ وتعد بسبب ذلك من أوثق مصادره - من الدعوى البالغة فى الكذب والوقاحة أبعد مبلغ والتى يدعيها يهود اليوم بأمجاد اليهود التاريخية فى فلسطين ؛ لأنه يستبين من نصوص هذه الأسفار أنه ليس لبنى اسرائيل فى فلسطين أمجاد تاريخية تتحلى فخراً واعتزازاً الا اذا كان الكذب والاحتيال والفسق والفجور وسفك دماء الغير ونهب أموالهم والعدوان على حرياتهم وحرمانهم بأسلوب بالغ فى الوحشية والشره ؛ والانحرافات الدينية والخلقية والاجتماعية والشقاق والنزاع فيما بين طوائفهم والرضوخ والخضوع للغزاة يمكن أن يعد من الأمجاد وهو ما تمتلئ به هذه الاسفار اليهودية المقدسة عندهم .

والأسفار التى ذكرت انتصاراتهم فى شرق الاردن وغربه تحت قيادة موسى أولاً ويشوع ثانياً وسجلت فتحهم البلاد امتلأت بالمبالغات والتهويلات والمتناقضات وكانت مع ذلك تقرو أن هذه الانتصارات لم يحرزها بنو اسرائيل بشجاعتهم ومزاياهم

وانما كانت معجزات وبائية ، حيث كان الرب يحارب عنهم ، وانهم كانوا جبناء أشد الجبن يرتعدون ويتذمرون وتذوب قلوبهم عند أى صعوبة وقوة أو مشقة اذا لم تسدهم تلك المعجزات ويتطاولون على الله بالبن واللوم والعتاب برغم ما كانت الأسفار تذكره من كثرة عددهم ومحاربيهم •

يضاف الى هذا أنهم حينما كانوا يحصلون اسم العبرانيين وطردوا على فلسطين كانوا شرذمة قليلة او بكلمة أخرى أسرة واحدة ثم عاشوا عيشة البدو ، وحينما عادوا الى فلسطين من مصر بقيادة موسى لم يشئوا شيئا هاما من المدن والقرى وانما عاشوا على ما كان فيها من عسran ضخم كنعانى وآمورى . ولم يكن لهم شئ من الميزات والمقاومة فلم يلبثوا أن أهملوا ميزاتهم الوحيدة وهى التوحيد ، وخضعوا لتأثير من كان فى فلسطين من الشعوب اجتماعيا ودينيا ومدنيا وظل هذا ديدنهم . حتى أن ملكيها الأعظمين داود وسليمان وحقتبهما وهو كل ما يتطلع اليهود أن يذكروه بشئ من الاعتزاز لم يستطيعوا ان يتخلصوا من هذه الظاهرة •

ولم تخلص فلسطين لهم فى أى ظرف حيث ظل سكانها القدماء من كنعانيين وآموريين وفلسطينيين وغيرهم فيها وحيث كانوا فى أحيان كثيرة يشتبكون معهم فى نضال ويتصرفون عليهم ،

وحيث ظلوا بعد اجلاء بنى اسرائيل المرة بعد المرة فيها كأصحاب
البلاد الأصليين .

وقد كان بنو اسرائيل الى هذا في معظم تاريخهم في فلسطين
عرضة لغزوات الغزاة الذين كانوا يغيرون عليهم من مصر حينما
ومن سورية حينما ومن شرق الأردن حينما ومن العراق حينما ومن
أوروبا - اليونان والرومان - أخيرا ، والذين كانوا ينجحون في
اخضاعهم لغيرهم والتشكيل بهم كلما حدثتهم أنفسهم بالمغامرة
والشغب واجادتهم واسكان غيرهم مكانهم . ثم قوض الرومان
كيانهم فخر معظمهم من فلسطين نهائيا بعد تاريخ ملوؤ تلك
السوءات الاخلاقية والدينية والاجتماعية التي ندد بها أنبياء بنى
اسرائيل وسبوا على قومهم بسببها اللعنات .

وقد خلا تاريخهم من أى مجد عراني وسياسي وعسكري
لامع ولم يكادوا يتركون في فلسطين بعد تشردهم النهائي عنها
أثرا ما . ثم تشتتوا في أنحاء الارض واندمج كثير منهم في
النصرانية والاسلام والعروبة واختلطت دماؤهم ودماء من بقي
على اليهودية منهم بدماء الأقوام التي عاشوا بينها الى الآن بحيث
يصح أن يقال ان الدم الاسرائيلي القديم قد باد أو كاد وان
اليهود اليوم ليسوا الا جماعة دينية تضم شتى الأجناس واللغات
والدما ، وأن دعوى صلة اليهود اليوم بنى اسرائيل وتاريخهم
على ما في هذا التاريخ من سوءات زائفة كل الزيف . وهذا

بالإضافة الى الكتل الكبيرة منهم التي ظلت في منفاها قبل التشرّد النهائي في مملكتي آشور وبابل واندمجت في أهل البلاد التي عاشت فيها دما ودينا ، حتى ان العائدين من الأسرى كانوا أقلية بالنسبة للمستخلفين •

ويلسح في كثير من نصوص الأسفار أثر تعصب شديد وأذنية قوية وأفق ضيق ظل يبدو منهم وسيطر على سيرتهم سلوكه في معاملتهم لغيرهم أو فيما كانوا يزعمونه لأنفسهم من اختصاصات وامتيازات • ومن هذا الباب تسجيلهم عن لسان الله انتقال ارث وبركة ابراهيم الى اسحق دون اساعيل بكره وأولاده الآخرين ثم انتقال ارث وبركة اسحق الى يعقوب أبيهم الأكبر دون عيسو بكره كذلك وكون جميع الشعوب عبيدا لهم سخرها الله لخدمتهم وكونهم شعب الله المقدس المختص بعنايته وتأييده بل وعبادته دون غيرهم من الشعوب ، وكونه جعلهم أصحاب الحق الأبدى المطلق في أرض كنعان التي كانت حدودها تتطور حسب ظروفهم فتكون حيناً غرب الأردن أو قسماً منه وحيناً تستد الى شرقه وغربه معاً وحيناً تستد من النيل الى الفرات ، وباباحته لهم بل بشرعه لهم وأمرهم - تعالى وتقدس - بأن يبيدوا جميع سكان أرض كنعان من نساء وأطفال وشيوخ ورجال وأحياناً جميع ما فيها من دواب وبهائم وبأن يحرقوا مساكنها ، وبحظر قطع أى عهد أمان لأى كان من سكان أرض كنعان أو

إبقائهم بين ظهرانيهم حتى لقد سجلوا سخطه عليهم لأنهم خالفوه في بعض المرات في عملية الإباداة كما سجلوا سخط موسى على مثل ذلك (١) وسجلوا أقوالا عن لسان الرب بأنه يغفر لهم ما يقتربونه من آثام وارتكسوا فيه من انحرافات دينية وخلقية (٢) وانه اذا غضب عليهم وعرضهم للاذى بسبب هذه الانحرافات فيكون ذلك على سبيل التأديب ثم لا يلبث أن يندم على ما فعل ويعود الى انقاذهم وتأبيدهم معا فيه غلو عجيب متناقض مع جلال الله وعدله ورحمته ، وما هو من دلائل المآخذ والشوائب التي أملت بالأسفار : وما كان منشؤه على الأغلب ما قاسوه في مصر من ذل واضطهاد ظل مكبوتا وأوجد فيهم عقدة نفسية ، كان ما سجلوه من أمثال هذه النصوص وما اقتربوه من جرائم اباداة بالغة تقسوة مع من قدروا عليه من أهل شرق الاردن وغربه كسر فعل لها .

ولقد لازمتهم هذه العقدة طيلة تاريخهم القديم في فلسطين وكانت النافذة لسيرتهم وصلاتهم مع مختلف الشعوب التي احتكوا بها أو عاشوا معها ، وكانت بدورها سببا لانحرافاتهم المستمرة الخلقية والدينية ولما لقوه من هذه الشعوب من مناوأة

(١) أنظر مثلا الاسحاح ٣٤ من سفر الخروج والاسحاحين ٧ و ٢٠ من سفر
النسبة والاسحاح ٣١ من سفر العدد .
(٢) أنظر مثلا الاسحاح ١٤ من سفر العدد .

ومناهضة جباعية ، ولما عاملهم به من قدر عليهم من قسوة وتكليف وتشريد على ما سوف نفصله بعد ، لأنها كانت تحول دائماً بينهم وبين أى تحسس بعاطفة الاخلاص والأمانة وصدق التعاضد والتوافق مع الغير فلم يكن لهم عند القادر غير ذلك علاجاً .

ثم ظلت تلازمهم وتنظم سيرتهم وصلاتهم مع مختلف الشعوب التي احتكوا بها أو عاشوا معها بعد تشردهم من فلسطين وتشتيتهم تحت كل كوكب خلال ألفى عام ، وسرت الى من اعتنق دينهم من غير جنسهم ايضاً لأن دعائهم مسجلة في الأسفار التي يقدسها اليهود من اسرائيليين وغير اسرائيليين فاستشروا يرتكسون في الانحرافات الخلقية والدينية ، وبقوا غرباء تجاه تلك الشعوب وتعاملوا معها في نطاقها ، وتعرضوا لاضطهاد جميع الشعوب وكراهيتهم بسببها ، وظل أثر الاضطهاد والكراهية والعقيدة النفسية مكبوتاً في صدورهم جيلاً بعد جيل حتى وجد من جديد مجال رد الفعل والانفجار في فلسطين فكان منهم ما كان من وحشية القمع والفتك والتدمير والتخريب واستحلال كل شيء والشره الى كل شيء ، وكانوا بذلك ولن يزالوا شاذين بسبب هذه العقدة اللعينة عن جميع شعوب الأرض في مختلف الأزمنة والأمكنة .

كل هذا يستبينه المرء الذي يقرأ تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم فيندهش أشد دهشة من وقاحة دعوى اليهود وأكاذيبهم

البيانعة . ثم تزداد دهشته من استطاعتهم تضليل العالم عن تاريخهم
 ، أمجادهم وصلتهم الدموية بينى اسرائيل بنا أحكوه من دعاية
 كاذبة تتخذ كل وسيلة مهسا كانت ، وما يصدق عليه قول من
 قال : يكذب الكاذب ثم يكذب ثم يكذب حتى يخيل اليه أنه
 صادق وأن الناس مصدقوه . هذا برغم انتشار وتداول أسفار
 العهد القديم بالملايين فى كل بقعة من بقاع الأرض وبكل لغة من
 لغات الشعوب تقريبا . ذلك لأن أسلوب هذه الأسفار التى
 نطوى فيها تلك الحقائق العجيبة المدهشة لا يسفه معظم الناس
 ، لا يساعد على تجييع تلك الحقائق وإبرازها فى نسق تاريخى .
 لذلك كان من الضرورى جدا تجلية هذه الحقائق بأسلوب
 تاريخى مستساغ ولقد كتب المطران الدبس مجلدا ضخما
 عنوانه مقالة فى العبرانيين طبع فى أواخر القرن الثاثة استند
 مؤلفه الى الأسفار فى الدرجة الأولى . غير أنه كتب بروح
 وأسلوب ليس من شأنهما إبراز تلك الحقائق بالصورة التى
 قصدناها فلم يكن فيه غناء ولقد كتب كتاب عديدون من العرب
 رسائل مستتدة الى الأسفار نبهوا فيها على ما احتوته من
 انحرافات بنى اسرائيل الدينية والخلقية فى مختلف حقبة تاريخهم
 غير أن الذى اطلعنا عليه منها لم يكن فى نسق تاريخى شامل
 وواف . فرأينا أن نسد هذا الفراغ بكتابنا هذا الذى حرصنا
 على أن يكون فى نسق تاريخى متسلسل منذ بسوء تاريخ بنى

اسرائيل في فلسطين الى يوم تشريدهم منها التشريد الأخير في عهد الحكم الروماني في القرن الثاني بعد الميلاد المسيحي مع نبذة خاطفة عن تاريخهم في بلاد العرب الى البعثة الاسلامية ، مما نرجو ان يكون فيه خدمة للتاريخ والمكتبة العربية وخاصة الناشئة العربية ، لتقف منه على حقائق تاريخ بني اسرائيل وقد ابتلى وطنهم العزيز بشرذمة تدعى الانتساب اليهم وصار معها شأن أي شأن قد يطول أمدا طويلا .

ونبه على أمر مهم وهو أن الكتاب لم يقتصر على إسرائيل حقائق سوءات تاريخ بني إسرائيل القديم بل هو سلسلة تامة لهذا التاريخ ايضا ما هو في حد ذاته مفيد للقارئ العربي لأننا لم نطلع على كتاب شامل لهذا التاريخ باللغة العربية وقسنا استعنا بمراجع عديدة بالاضافة الى الأسفار لياثين السكتانية وافيًا وثيقا ان شاء الله .

ومنه نسأل العوز والتوفيق .

المؤلف

تعريف بالأسفار

إن أسفار العهد القديم التى ستكون مستند هذا الكتاب
تسعة وثلاثون حسب النسخة البروتستانتية وستة وأربعون حسب
النسخة الكاثوليكية . والخمسة الأولى منها أى التكوين
والخروج واللاويين والعدد والتثنية منسوبة الى موسى الذى
يرجح أنه عاش فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد . ويأتى بعدها
فى النسخة البروتستانتية أسفار يشوع والقضاة وراعوث
وصموئيل الأول وصموئيل الثانى والملوك الأول والملوك الثانى
وأخبار الأيام الاول وأخبار الأيام الثانى وعزرا ونحميا وأستير
وأيوب والمزامير والامثال والجامعة ونشيد الانشاد وأشعيا وأرميا
ومراثى أرميا وحزقيال ودانيال وهوشع ويوئيل وعاموس
وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجى وزكريا
وملاخى . والزوائد فى النسخة الكاثوليكية هى سفر طوييا
ويهوديت بعد سفر نحميا وسفر الحكمة ويسوع بن سيراخ بعد
سفر نشيد الانشاد وسفر باروك بعد سفر مراثى أرميا وسفر
المكابيين الأول والثانى بعد سفر ملاخى . وتسمى هذه النسخة
سفر اللاويين بسفر الأخبار وتجعل أسفار الملوك أربعة وأولها
وثانيها بدلا من سفرى صموئيل الأول والثانى .

والأسفار اجبالا تسم بالسنة الدينية • ومنها ما هو تاريخي في الدرجة الأولى مثل أسفار التكوين والخروج والعدد وبنسج والقضاة وصمويل والملوك وأخبار الأيام وأستير وعزرا ونحشيا ودانيال وأرميا وراعوث ويهوديت وطلوبيا والمكابين والثلاثسة الأخيرة من زوائد النسخة الكاثوليكية وهي تربط بين سيرة ووقائع بنى اسرائيل بل آياتهم وبين سلوكهم الدينى بحيث انها تجعل ما وقع عليهم من محن وشدائد ومصائب وما تيسر لهم من نصر ونجاح واستواء حال منوطا بهذا السلوك فى حالتى الاصلاح والانحراف الدينى • ومنها ما هو أخلاقى وتشريعى وحكم ومواعظ ومراثى وانذار وتنبؤات وتسيجات وتسجيدات وهى أسفار اللاويين والمزامير والأمثال والجامعة ونشيد الانشاد والحكمة - وهذا من زوائد النسخة الكاثوليكية - وأشعيا ومراثى أرميا وباروك - وهذا من تلك الزوائد - وهو شمع ويوثيل وعاموس وعوبديا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجسى وزكريا وملاخى • وهى مع ذلك تشل ناحية هامة من تاريخ وحياة بنى اسرائيل الدينية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية • وهناك سفران لا يبدو لهما صلة بنى اسرائيل وهما سفر أيوب الذى يستفاد من عبارته أنه من بنى عيسو ، وسفر يونان الذى يستفاد من عبارته انه نبى مرسل الى نينوى ، وهو النبى يونس المذكور فى القرآن على ما تفيداه المقابلة بين محتواه وقصته فى القرآن •

وأيوب هو أيوب المذكور في القرآن ويحتوى سفره قصة مقاربة لما أُلحق النبي القرآن كذلك ؛ وهناك سفر مغفل السنة وهو سفر يسوع بن سيراخ الذى هو من زوائد النسخة الكاثوليكية وهو تشريعى وأخلاقى .

ومن الأسفار ما هو مفيد تزيد صفحاته على المائة ؛ ومنها ما هو قصير أو قصير جدا .

وقد احتوى سفر التكوين قصة الخليقة وطوفان نوح ومواليدهم ثم قصة نوح إبراهيم الى أرض كنعان وذريته فيها ثم فى مصر الى نهاية حياة يوسف . واحتوت أسفار الخروج والعدد قصة ظهور موسى ومعجزاته وخروجه مع بنى اسرائيل وطروئهم على شرق الأردن . واحتوت أسفار يشوع والقضاة وصويل والملوك وأخبار الايام قصة بنى اسرائيل الى ما قبل السبى الذى وقع فى الثلث الأول من القرن السادس قبل الميلاد . واحتوت أسفار استير وعزرا ونحيا ودانيال وأرميا ويهوديت ؛ طوبيا والمكابيين قصتهم أثناء السبى وبعده .

ومن الأسفار الأخلاقية والتشريعية والتقليدية والتنبؤات والمرائى والرؤى ما هو متصل بحقبة بنى اسرائيل وحالهم قبل السبى ومنها ما هو عائد الى حقبة بنى اسرائيل أثناء السبى وبعده والأولى هى أسفار أشعيا وأرميا وهوشع ودانيال وعاموس وصفنيا . وبقية عائدة الى حقبة السبى وبعده .

ونسبه على أن سفر التكوين الذى هو من الأسفار الخمسة المنسوبة الى موسى لا يحتوى أى عبارة تشير الى علاقة موسى به رواية أو تدوينا خلافا للأسفار الاربعة الأخرى أى الخروج والأخبار والعدد والتثنية . والى هذا فإن فى الأسفار الخمسة عبارات كثيرة قد تدل على أن هذه الأسفار لم تكتب من قبل موسى ولا باملائه ولا فى حياته وإنما كتبت بعده وبأقلام كتاب عديدين وفى أزمنة مختلفة وقد تكون كتبت بعده بسدة طويلة بل قد تكون كتبت أو أعيدت كتابتها بعد سبى بنى اسرائيل من اورشليم - القدس - وعودتهم من السبى فى القرن السادس قبل الميلاد .

ففى كل من سفر العدد والأخبار (اللاويين) والتثنية شؤون وأحداث ووصايا وتشريعات متنوعة مذكورة بصيغ مختلفة وزيادة ونقص فى سفر الخروج السابق عليها فى الترتيب . وفى سفر التثنية شؤون وأحداث ووصايا وتشريعات مذكورة بصيغ مختلفة وزيادة ونقص فى أسفار الخروج والعدد والأنبياء السابقة عليه . وفى كل من الأسفار الاربعة اشارات الى ما سوف يحل ببنى اسرائيل من مصائب وشدائد واجزاء عن أرض كنعان وعودة لها فى سياق الترغيب فى اتباع وصايا الرب ورسومه والاذنار فى حالة مخالفتها مما لا يعقل أن يكون الا فى حالة تعدد الكتاب واختلاف الاوقات واستقاء الكتاب من مصادر مختلفة

بينها بعض التطابق وبعض التخالف كما هو المعتاد : وما يلمح فيه كذلك أثر واقع بني اسرائيل وسيرتهم بعد طروئهم على أرض كنعان - أي غرب الاردن او فلسطين - وهو ما وقع بعد موسى وماله يذكر وقوعه في الأسفار الخمسة ومالا يعقل أن يرد فيها تلك الاشارات اليه الا بعد وقوعه . وفي آخر اصحاحات سفر التثنية ذكرت موت موسى ودفنه في الوادي في أرض مؤاب ثم قيل : «ولهم يعرف قبره الى يومنا هذا» والعبارة تفيد ان كتابتها وبالتالي كتابة الاصحاح ثم كتابة السفر انما كانت بعد مدة طويلة جدا من موت موسى .

وما قلناه عن الأسفار الخمسة يصح أن يقال بالنسبة لمعظم الأسفار التي تحتوي أحداث ما قبل السبي وخاصة التاريخية عنها التي لا تتسمي بأسماء شخصية : أي أنها أو أيا منها ما كتب الا بعد الأحداث التي ذكرت فيها بسدة طويلة أو بعد السبي وأنها بأقلام عديدة وفي أوقات مختلفة وأن كتابها استنتوا من مصادر مختلفة بينها بعض التطابق والتخالف كذلك .

فسفر أخبار الأيام الأول والثاني مثلا اللذان يجيئان في الترتيب بعد أسفار صموئيل والملوك قد احتويا كثيرا مما احتوت هذه الأسفار بشيء من الزيادة والنقص بل احتويا بعض ما ذكرته أسفار التكوين والخروج والعدد . ففي الاصحاح الثالث من سفر أخبار الأيام الأول مثلا سلسلة أسماء ملوك يهوذا الى

آخر سدقيا الذي قتله نبوخذ نصر وقضى على دولته نهائيا ، وفي
الاصحاح التاسع من هذه الجيلة «وسبى يهوذا الى بابل لأجل
خياتتهم» وفي الاصحاح السادس والثلاثين من سفر أخبار الأيام
الثاني هذه الجيلة «وفي السنة الأولى لكورش ملك فارس نبه
الرب روح وركش فأطلق نداء في كل مسلكته قائلا : ان الرب
أعطاني جميع مسالك الأرض وأوصاني أن أبني له بيتا في اورشليم
التي في يهوذا فمن منكم من جميع شعبه فليصعد والرب معه
مما فيه دلالة قاطعة على أن السفر الأول كتب على الأقل في نهاية
دولة يهوذا وعلى أن السفر الثاني كتب حتما بعد السبي . وسفر
الملوك الثاني يذكر ملوك دولتي اسرائيل ويهوذا الى نهايتها
بما في ذلك نصف نبوخذنصر لدولة يهوذا ، وسبى اليهود الى
بابل ويذكر بعض أحداث جرت بعد السبي او عقبه مما فيه دلالة
قاطعة على أنه كتب بعد نهاية دولة يهوذا فضلا عن احتمال كتابته
بعد السبي وهو ما نرجحه . ولما كان هذا السفر هو استمرار
لسيرة ملوك دولتي يهوذا واسرائيل التي بدى بها في السفر الأول
فالكلام المذكور ينسحب على هذا السفر ايضا كما هو المتبادر .
وفي الاصحاح الخامس والاربعين من سفر أشعيا الذي عاش في
عهد ملوك يهوذا يونان وحزقيا وعزيا وآخاز ورد اسم كورش
وتغلبه مما يدل على أنه كتب بعد السبي وقد ورد فيه هذه
العبارة « اخرجوا من بابل واهربوا من أرض الكلدانيين » ما

فيه تأييد لذات • ولا تخلو أسفار أخرى من التي تتكلم عن ما قبل السبي من دلائل وقرائن مسائلة تسوع القول أنها كتبت بعد السبي •

غير أن هناك ما يدل على أن كثيرا من محتويات الأسفار التي تتكلم عن حبة ما قبل السبي والتي تدل عباراتها على أنها كتبت بعد السبي قد نقلت من مدونات تاريخية يهودية غير موجودة بين الأسفار المتداولة ففي الاصحاح الثاني عشر من سفر أخبار الأيام الأول مثلا هذه الجملة « وأمر رحبعام الأولى والأخيرة أما هي مكتوبة في أخبار شمعيا النبي وعدو الرائي » وفي الاصحاح العاشر من سفر يشوع هذه الجملة « فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه • أليس هذا مكتوبا في سفر ياشر » وليس هناك أسفار باسم أسفار شمعيا النبي وعدو نرائي وياشر • وفي سفر الملوك الأول الذي يقابله في النسخة لكاثوليكية سفر الملوك الثالث هذه الجملة « وأمر سليمان بكل ما صنع وحكمته » أما هي في سفر أمور سليمان • وليس بين الأسفار المتداولة سفر بهذا الاسم • وفي الاصحاح التاسع من أخبار الأيام الثاني هذه الجملة « وبقية أخبار سليمان الأولى والأخيرة مكتوبة في كلام ناثان النبي ونبوأ أحيا الشيلوني وفي رؤى معدو الرائي » وليس بين الأسفار المتداولة أسفار بهذه الأسماء • وفي الاصحاح السابع والعشرين من سفر أخبار الأيام

الاول هذه الجلسة «ولم يدون العدد في سفر اخبار الأيام للملك داود» حيث تفيد انه كان لداود أيضا سفر اخبار وليس بين الأسفار المتداولة مثل هذا السفر . وكثيرا ما جاء في أسفار الملوك هذه الجلسة «وبقية أمور الملك فلان . . أما هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام للملك يهوذا أو ملوك اسرائيل» وليس بين الأسفار ما يحل هذه العناوين . وليس في أسفار أخبار الأيام المتداولة شيء منا أريد ارجاع الكلام اليه . والعبارة قد تفيد انه كان لكل من ملوك اسرائيل ويهوذا - دولتي اليهود بعد سليمان - أسفار باسم أسفار ملوك اسرائيل وأسفار ملوك يهوذا وأخبار الأيام لملوك اسرائيل وأخبار الأيام لملوك يهوذا . ففي هذا وأمثاله دلائل على أن كثيرا مما احتوته أسفار العهد القديم التي يرجح تدوينها بصيغتها الحاضرة بعد السبي منقول عن أصول مدونة قبلها كان أخبار اليهود يحتفظون بها ثم فقدت .

فهذه الأمثلة قد تسوغ القول : ان أحداث موسى وما بعده قد دونت في ظروف مقارنة لحدوثها ويصح أن تكون محل اعتقاد مع التحفظ بسبب ما في الأسفار من غلو ومناقضات ومفسرات كثيرة سوف تنبه عليها في مناسباتها ، ولا سيما أن هناك نقوشا مصرية وآشورية وأردنية تتطابق مع بعض ما ورد في الأسفار التي احتوت أحداث ما قبل السبي من جهة ، وأن ما ذكرته هذه الأسفار من أعلام وأسماء وجزيئات لا يعقل أن يكون من

نسيج الخيال من جهة أخرى * وكل ما يسكن أن يكون أن تداول الروايات شفوياً ردحا من الزمن والخيال والتعصب وظروف التدوين قد كان ذا تأثير قوى فاذى ذلك الى ما أشرنا اليه من مناقضات ومفارقات وغلو *

وهذا الذى نقوله يمكن أن يقال بالنسبة لما احتواه سفر التكوين وخاصة من عهد ابراهيم وتاريخه وتاريخ ذريته والذى كان التحفظ ازاءه أوجب بسبب قدمه وعدم وجود مستندات أخرى تؤيد ما جاء فيه من ذلك تأييدا حاسما *

فاستمر تداول اسم ابراهيم وذريته وسكنهم في أرض كنعان وانتشار بعضهم في شرق الأردن ونزوح يعقوب وأسرته الى مصر واتصال ذلك بواقع خروج بنى اسرائيل بقيادة موسى من مصر وواقع طروئهم على شرق الأردن وغربه ما يسوغ القول أن ما لاحتواه هذا السفر من تاريخ ابراهيم ويعقوب وذريتهما وما كان من أحداث وأعلام في شرق الأردن وغربه لا يخلو من حقيقة وأن الأحداث والأعلام والجزئيات لا يعقل أن تكون من نسيج الخيال ، ولا سيما أن من ذلك ما هو متطابق مع الواقع اليقيني المستمر في شرق الأردن وغربه على ما سوف نشرحه بعد * وكل ما يسكن هو أن معظم ما جاء فيه من ذلك كان ما تداولته الروايات جيلا بعد جيل أمدا طويلا وتعرض بسبب ذلك ثم بسبب ظروف التدوين والتعصب للزيادة والنقص والغلو والمفارقات والمناقضات

وليسست المفارقات والغلو والخيال منحصرة في الأسفار التي
تحتوى أحداث ما قبل السبى ، فإن في الأسفار التي تحتوى
أحداث السبى وما بعده كثيرا من ذلك أيضا ، مما يسوغ القول
أنها شئت بعد معظم الأحداث التي ذكرتها فاختلطت الحقائق فيها
بالمفارقات والغلو والخيال .

تاريخ ابراهيم واسحق ويعقوب

- ١ -

ان بنى اسرائيل ينتسبون الى يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
فمن المقتضى أن نقول كلمة في تاريخهم أولا •

ولقد حكى بعض اصحاب سفر التكوين قصة نزوح
ابراهيم الى أرض كنعان - فلسطين - بأسلوب يكتنفه شيء من
الغوض والتناقض مها حاول مفسرو الأسفار ان يجدوا له تأويلا

ففى الاصحاح الحادى عشر أن تارح أبا ابراهيم خرج من
أور الكلدانيين قاصدا أرض كنعان ومعه ابراهيم ابنه وساراي
كنته ولوط ابن ابنه هاران المتوفى • وجاء الى حاران ومات فيها •
وفى الاصحاح الثانى عشر ان الرب قال لابراهيم انطلق من أرضك
وعشيرتك وبيت أهلك الى الأرض التى أريك فأجعلك أمة كبيرة
ويتبارك بك جميع عشائر الأرض فخرج من حاران ومعه زوجته
ساراي وابن أخيه لوط وجميع ما يملكون من أموال وعبيد
وأتوا الى أرض كنعان •

فكلام الاصحاح الحادى عشر يفيد أن فكرة النزوح الى

أرض كنعان كانت فكرة تارح ابى ابراهيم بينما كلام الاصحاح
الثانى عشر يفيد ان نزوح ابراهيم بأمر الرب وكأنما هو شىء
خاص به لا علاقة به لأبيه تارح •

وفى الاصحاح الخامس عشر من هذا السفر وجه الخطاب الى
ابراهيم « أنا الرب الذى أخرجك من أور الكلدانيين لأعطيك
هذه الأرض ميراثاً لك » منا يفيد نفس المعنى • وفى الاصحاح
الرابع والعشرين من سفر يشوع : هكذا قال الرب الى اسرائيل
« فى عبر النهر سكن آباؤكم منذ الدهر تارح أبو ابراهيم وأبو
ناحور وعبدوا آلهة أخرى فأخذت اباكم ابراهيم من عبر النهر
وسيرته فى جميع أرض كنعان وكثرت نسله » وهذا يفيد نفس
المعنى كذلك •

وكلام الاصحاح الحادى عشر من التكوين يفيد أن ابراهيم
من مدينة أور الكلدانيين وأن اقامة تارح فى حاران كانت عابرة
بينما كلام الاصحاح الثانى عشر يفيد ولو لم يكن بصراحة أن
مقام ابراهيم وأرضه وعشيرته وبيت أبيه فى حاران • وقد جاء
فى الاصحاح الرابع والعشرين من نفس السفر أن ابراهيم استخلف
كثير عبيده بأن لا يأخذ لابنه اسحق زوجة من بنات كنعان بل
يذهب الى أرضه وعشيرته ويأخذ منها زوجة لابنه ووصاه بأن لا
يرد ابنه الى هناك لأن ربه أخذه من بيت أبيه وأرض مولده وأتى
به الى أرض كنعان • وأن العبد ذهب الى آرام النهرين الى

مدينة ناحور أخى ابراهيم وخطب ابنته لاسحق وأتى بها الى أرض كنعان . وقد جاء فى الاصحاح الثامن والعشرين من السفر نفسه أن اسحق وصى ابنه يعقوب بأن لا يتزوج من بنات كنعان بل يذهب الى خوان آرام ويتزوج من بنات خاله لابان فنفس وصية أبيه حيث يفيد هذا وذلك أيضا أن أرض ابراهيم وعشيرته كانت فى آرام النهرين .

ومع أن المحتسل كثيرا أن يكون بعض النصوص المتقدمة متأثرا بما كان من واقع طروء بنى اسرائيل على شرق الأردن وغربه بعد خروجهم من مصر ومحاربتهم لأهلها واستيلائهم بالقوة والدم على أقسام كبيرة منها ، وأن يكون التناقض البادى فيها نتيجة لتداول الروايات والذكريات أجيالا بعد أجيال فان هذا لا يمنع ان يكون فى ما ذكر فيها حقيقة ما بالنسبة الى منشأ ابراهيم ونزوحه الى أرض كنعان . وحينئذ يبدو احتسالا لنشأ ابراهيم وهما أور الكلدانيين وآرام النهرين .

أما أور الكلدانيين فان وجود مدينة اسمها أور فى بلاد كلدنة فى القرن العشرين الذى نضمن نزوح ابراهيم فيه ممتدة الى ما قبل ذلك هو من الحقائق التاريخية التى أيدتها الاكتشافات الأثرية (١) . وقد تكون فكرة نزوح أسرة واحدة من بلاد كلدنة

(١) تاريخ كلدنة وآشورلادى شيرج ١ ص ٢٤ ومقدمة فى الحضارات القديمة القسم الاول تاريخ العراق للعالم الاثرى العراقى طه باقر ص ١٠٥ .

أو من أور الى أرض بعيدة جدا غير مستساغة كثيرا • غير أن الكلدانيين أو الأكاديين كانوا قد مدوا سلطانهم من العراق الى بلاد الشام وعرفوها في عصر سرجون ونارام سين الذي تتراوح تقديرات المؤرخين عنه بين القرن الأربعين والقرن الرابع والعشرين قبل الميلاد على ما عرف من الآثار والدراسات التاريخية (١) ثم كانت امبراطورية أور في القرن الثاني والعشرين في تقدير ، وقبل ذلك ببضعة قرون في تقدير آخر (٢) التي مدت سلطانها هي الأخرى الى بلاد الشام ثم كانت امبراطورية بابل الأولى التي يخزن المؤرخون عهدها بين القرن الخامس والعشرين والقرن العشرين الى الثامن عشر والتي مدت سلطانها كذلك الى هذه البلاد (٣) •

فليس من المستبعد والحالة هذه ان تكون فكرة النزوح الى بلاد الشام فأرض كنعان قد انبثقت في كثير من هذه البلاد فكان من جملة ذلك ابراهيم وأسرته •

وأما آرام النهرين فالمعروف ان موجة اسبها الموجة الآرامية

(١) التاريخ العام بالتركي ل احمد رفيق ج ١ ص ١٦٦ والقرون القديمة لبريستيد ص ٩٠ وتاريخ كلدان وآشور ج ١ ص ٢٢ - ٢٧ وكتاب طه باقر المذكور ص ١١٥ - ١٢٦ و ٢٠٣

(٢) كتاب طه باقر ص ١٣٠-١٣٧ وتاريخ كلدان وآشور ج ١ ص ٢٢-٢٧ • وتاريخ بابل وآشور لجميل اللود ص ٤١ و ٦٦ •

(٣) تاريخ كلدان وآشور ج ١ ص ٢٧-٢٢ وكتاب طه المذكور ص ١٣٩-١٥٦ •

قد أخذت تظراً على بلاد الشام في القرن العشرين وانتشرت في مختلف 'نحائها الوسطى والشالية وتسربت جسات منها الى العراق (١) غير انها لم تكن قد استقرت وتحضرت في الطرف الذى يخس فيه نزوح ابراهيم الى أرض كنعان كما لم يذكر احد من الباحثين أن جسات منها تسربت الى شرق الاردن وغربه - أرض كنعان - قبل القرن الثانى عشر . ولكن هذا لا يسع ان يكون قد تسلل منها جسات الى هذه الأرض وكان من جسلتها أسرة ابراهيم .

ولقد جاء فى الاصحاح السادس والعشرين من سفر تشية الاشتراع - وهو من الأسفار المنسوبة الى موسى - فى سياق وصايا الرب لبنى اسرائيل فى صدد تقديم ثمار الأرض للرب هذه العبارة «ثم تجيء وتقول بين يدى الرب بعد ان يأخذ الكاهن السل من يدك ويضعه أمام المذبح ان أبى كان آرميا تائها فهبط مصر ونزل هناك فى رجال قلائل فصار أمة عظيمة شديدة كثيرة الخ» ومها كان هناك احتسالى أن يكون هذا متأثراً بما تم لبنى اسرائيل من انتصارات بعد خروجهم من مصر فان العبارة تتضمن ذكرى كان يتناقلها كما هو المتبادر بنو اسرائيل بان أباهم

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام لجرى زيدان ص ٢٥٠-٢٥١ وتاريخ كندة وآشور ج ١ ص ٣٦-٣٨ و ١٢٨-١٣٠ وكتاب طه باقر ص ١٦٠-١٦٢ .

الأكبر هو آرامى • وبالتالي قد تكون من مرجحات ومقومات الأصل الآرامى •

وهناك احتمال ثالث وهو أن يكون ابراهيم من الموجة الآمورية • فالمعروف أن هذه الموجة أخذت تطراً على بلاد الشام قبل الآراميين وتنتشر في أنحائها وأن جباغات منها تدفقت الى جزيرة الفرات ثم الى العراق الجنوبي وسيطرت عليه وأنشأت فيه مسلكة بابل الأولى (١) • كما أن جباغات أخرى تدفقت الى شرق الأردن وغربه واستقرت فيها وأنشأت مسالك عديدة في كل منها ظلت قائمة الى وقت طروء بنى اسرائيل عليها بعد خروجهم من مصر ووقع بينهما وبينهم حروب وتكرر ذكرها في الأسفار التى ذكرت قصة هذا الطروء على ما سوف نورده بعد ولقد جاء في الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين أن ابراهيم كان ساكناً عند بلوطات ميرا الأمورى (٢) أخى أشكول وعانر وكان حليفاً لهم ، فيتبادر الى الذهن أن ابراهيم انسا ذهب الى هذه المنطقة التى كانت من مساكن الأموريين وسكن عندهم لأنه هو الآخر منهم وأن فكرة النزوح الى هذه البلاد جاءت اليه من كونها من مساكن القبيلة التى هو منها •

(١) كتاب طه باقر ص ١٢٩-١٥٦ •

(٢) في الاصحاح الثالث عشر من سفر التكوين ذكر أن بلوطات ميرا هى الغسى بحبرون التى يقوم الآن مكانها مدينة الخليل •

ومن المحتمل والحالة هذه أن تكون تسمية آرام النهرين التي ذكرت نصوص التكوين أن ابراهيم جاء منها - متأخرة متأثرة بالواقع حين تدوين الاحداث في القرن الثالث عشر وما بعده لأن الآراميين كانوا هم أصحاب السلطان وكان طابعهم هو الشامل لجميع بلاد الشام الوسطى والشالية بل وكان يستد الى العراق الجنوبي في هذا الطرف (١) .

وعلى كل حال فابراهيم من الجنس العربي الذي يسميه المستشرقون ومن يتابعهم من كتاب العرب خطأ الجنس السامي سواء أكان كلدانيا أم أموريا أم آراميا لأن الشعوب الثلاثة هي من هذا الجنس على ما يقرره الباحثون بدون خلاف .

نقول هذا ونحن نعرف أن المؤرخين يسون ابراهيم وذريته بما فيهم بنو اسرائيل باسم العبرانيين أيضا ويسون لغتهم باللغة العبرانية ، بل ان اسم اللغة العبرانية هو الاسم المستقر المستمر للغة بنى اسرائيل . ولقد وصف الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين ابراهيم بوصف العبراني حيث يمكن أن يكون هذا سنداً لهذه التسمية . وفي الاصحاح الأول من سفر الخروج هذه العبارة «كلم ملك مصر قابلتى العبرانيات وقال لهما اذا

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام لزبدان ص ٤٠-٥٢ وتاريخ كندة وأنسود لذي شير ج ١ ص ٢٦-٢٨ و ١٢٨-٥٠ وكتاب طه باقر ص ١٦٠-١٦٢ .

استولدتما العبرانيات فانظرا عند الكراسى فان كان ذكرا فاقتلاه وان كانت انثى فاستبقياها» حيث يدل هذا على أن التسمية كانت تطلق على ذرية يعقوب حفيد ابراهيم قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد والمتبادر أن هذا استمرار لما قبل • ولقد ورد اسم «عبريو» في ورقتين من أوراق البردى كتبتا في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وقبل تدوين سفرى التكوين والخروج ببدء غير قصيرة أى في عهد رمسيس الثانى وموجودتان في متحف لايد في هولاندة • وقد ترجىها من المصرية القديمة عالم اسمه شباس وهما رسالتان احدهما من كاتب اسمه كويسر جوابا لرئيس له اسمه بكنفتاح يقول فيها «استرضاء لسيدي أنحت أمره الذى أنفذه الى قائلا : أعط الجنود قوتهم واعط أيضا العبريو الذين ينقلون الحجارة لبناء الملك رعسيس مريانان خليل العدل والذين وكل أمرهم الى رئيس الشرطة غنيسان فأنا أجريت عليهم رزقهم في كل شهر بقتضى الأوامر السامية التى أنفذها سيدي الى » والثانية من كاتب اسمه كينا الى رئيس له اسمه كجاناهو يقول فيها « أطعت ما أمرنى به سيدي قائلا أعط الجنود أرزاقهم والعبريو ايضا الذين ينقلون الحجارة لهيكل الشمس الذى انصرفت اليه عناية رعسيس مريانان في جنوب منف (١) وقد

(١) مقال فى العبرانيين للمطران الدبس ص ٨٩ وقد ذكر هذه الوثائق • مؤلف العقدة
البعين فى تاريخ مصر القديمة من ١١٧-١١٩.

رجح الباحثون ومنهم من جزم كالمطران الدبس ان العبريو هؤلاء هم بنو اسرائيل الذين نسوا وترعرعوا في مصر ثم تعرضوا لقسوة ملوك مصر بعد تقويض حكم الهكسوس وخاصة رمسيس الثاني الذي كان يضطهدهم ويسخرهم في أعمال البناء ونقل الحجارة ما ذكره الاصحاح الأول من سفر الخروج أيضا وكان ذلك سببا لفرارهم وخروجهم من مصر حيث يبدو من كل هذا أن اسم العبراني والعبرانيات بالنسبة لذرية ابراهيم ويعقوب حقيقة تاريخية .

غير أنه ليس هناك أى أثر أو باحث يذكر أنه كان من موجات جزيرة العرب أو من الأقوام السامية حسب اصطلاح المؤرخين الاجانب ومن يتابعهم قوم يسمون «العبرانيين» قبل ابراهيم حيث يسوغ هذا القول ، ان هذا الاسم هو اسم خاص قد يكون أطلق على ابراهيم ومن جاء معه الى أرض كنعان أو على ذريته من بعده . وفي الاصحاح الرابع والعشرين من سفر يشوع هذه العبارة «هكذا قال الرب الى اسرائيل في عبر النهر سكن آباؤكم منذ الدهر تارح أبو ابراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى فأخذت ابراهيم آباكم من عبر النهر وسيرته في جميع أرض كنعان وكثرت نسله» وقد يفيد هذا أن بنى اسرائيل الذين يقررون أن آباهم الأكبر ابراهيم قد سمو أنفسهم بهذا الاسم لأن آباهم الأكبر كان من عبر النهر أى من وراء النهر الذى هو

نهر الفرات على الأرجح • والا فيكون اسم عبريو أو عبرو أو
عبران هو اسم العشيرة الدنيا وكانت الروايات او الذكريات
تذكر انها عشيرة ابراهيم ، وليس اسم موجة أو قبيلة كبرى
وهكذا لا يكون تناقض بين هذه التسمية وبين احتمال نسبة
ابراهيم الى الكلدانيين أو الآراميين أو الآموريين •

- ٢ -

وفي سفر التكوين نبذ كثيرة عن حياة ابراهيم
ثم عن أولاده وأحفاده نرجح انها لا تخلو ،
قررناه قبل وان تكن شبيبت بالغلو والخيال بسبب مداولها سماعا
عبر الأجيال ، وتأثرت على ما يلمح فيها الى درجة كبيرة بالاحداث
التي وقعت لبنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر وبالواقع الذي
كانت عليه البلاد في هذا الطرف بقصد ربط ما كان قائما موجودا
من مسيات وأنساب بابراهيم وذريته ، وقصد ربط ما صار لبنى
اسرائيل من حكم وملك وما فعلوه في البلاد وأهلها وباختصاص
ربانى لهم دون غيرهم متصل بابراهيم وذرية يعقوب وقصد تبريره
والتنويه به • ولا يصعب على النبيه تبين ذلك من عبارات السفر
المختلفة •

ومن أهم ما احتوته هذه النبذ أمر اتصال ابراهيم وبعض
أبنائه واحفاده بالله وتجليه لهم وظهور ملائكته لهم ودعائهم
باسمه وحده ذكر ذلك في اصحاحات عديدة من السفر مرارا
وبأساليب مختلفة ما سوف نورد نصوصه في سياق الكلام ،
وذلك بقطع النظر عما جاء في هذه النصوص من اختصاصات
نرجح انها من جملة ما كان متأثرا بتاريخ ووقائع بنى اسرائيل
بعد خروجهم من مصر •

ولقد كان نزول ابراهيم حين طروئه على أرض كنعان عند-
شكيم في مكان بلوطة مورة والكنعانيون حينئذ في الأرض على-
ما ذكره الاصحاح الثاني عشر • وشكيم هي التي يقوم مقامها
اليوم مدينة نابلس على الأرجح حيث يمكن أن يقال انه جاء الى
هذه الأرض من طريق شرق الأردن فعبر النهر وتمر بالغور
المعروف اليوم بغور الفارعة الذي يؤدي الى شكيم - نابلس •
وقد ظلت هذه الطريق طريق كل من كان يأتي من العراق والجزيرة
الفراتية الى المنطقة الوسطى من أرض كنعان وقد جاء في الاصحاح
المذكور أن الرب تجلى له وقال : لنسلك أعطى هذه الأرض
فبنى هناك مذبحا للرب • ثم انتقل الى الجبل شرقي بيت ايل
وضرب خبائه وغريبه بيت ايل وشرقيه العالي وبنى هناك مذبحا
آخر ودعا باسم الرب • وبيت ايل اسم سماه يعقوب لمدينة كانت

تسمى لوز ، ويذهب مفسرو الأسفار (١) الى أنها اليوم بيت اين - وربما يتوفه - وهى فى طريق نابلس - القدس . ثم ارتحل الى الجنوب واشتد الجوع فى الجنوب فهبط الى مصر مع امرأته ساراي التى وصاها بأن تقول انها أخته حتى لا يقتله المصريون رغبة فى اغتصابها منه اذا قال زوجته ، وكانت جنيسة جدا فمدحوها لفرعون فأخذها الى بيته وأحسن بسببها الى ابراهيم الذى كان يسمى ابرام فصار له غنم وبقر وحسير وعبيد واماء وأتن وجبال . . . ويقول الاصحاح المذكور ان الرب ضرب فرعون وأهله ضربات عظيمة بسبب ساراي فاستدعى ابرام وقال له : ماذا صنعت بى ؟ ولم لم تعلننى انها امرأتك وقلت انها اختى حتى أخذتها لتكون لى امرأة ؟ والآن ها هى امرأتك خذها وامض وأمر بتشيعه هو وامراته وكل ماله . والعبارة تفيد أن فرعون اتخذ ساراي امرأة له فى هذه الفترة وانه عاد على ابراهيم من ذلك ثروة عظيمة .

ثم ذكر الاصحاح الثالث عشر ان ابراهيم عاد من مصر الى بيت ايل ونصب خيامه فيها . وكان غنيا جدا بالماشية والذهب والفضة وكان للوط أيضا الذى كان معه فى مصر وعاد معه غنم وبقر وخيام فضاقت الأرض بهما وأخذ ينشعب بين رعائهما ورعاة الكنعانيين والفرزيين المقيمين فى الأرض خصومة فاقترح ابراهيم

(١) مقال فى العبرانيين للديبس ص ١١.

الافتراق تحاشيا من النزاع فرفع لوط طرفه ورأى كل بقعة الأردن فإذا جسيها سقى كجنة الرب - وذلك قبل تدمير سدوم وعمورة - حتى تنتهي الى صوعه فاختارها لنفسه وارحل اليها وأقام ابراهيم حيث كان في أرض كنعان وقال له الرب بعد أن فارقه لوط : ارفع طرفك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا فان جسيع الأرض التي تراها أعطيها لك ولنسلك وأصير نسلك كتراب الأرض • فقم وامش في الأرض طولها وعرضها فانتقل بخيامه حتى جاء وأقام في بلوط ممسرا التي بحبرون - وحبرون هي التي يقوم مكانها اليوم مدينة الخليل وبنى هناك مذبحا للرب •

والعبارة تفيد أن أرض كنعان هي فلسطين أو غرب الأردن فقط • ونرجح ان ما جاء فيها من وعود متأثر بما كان من واقع بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر ومتأثر بفكرة الاختصاص التي نوهنا بها فيهم •

ويذكر الاصحاح الرابع عشر خبر مجيء امراقل ملك شنعار وأريوك ملك الأسار وكدرلاعومر ملك عيلام وتدعال ملك الأمم(١) ومحاربته مع بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة

(١) يقول المطران الديس في كتابه مقال في العبرانيين ص ٢٥ ان اكثر مفسري الكتاب على أن المراد بالكلمة العشائر الرجل التي لا مقر لها وأن هناك من قال انها تعنى ملك جليل الامم كما أن هناك من قال ان المقصود منها الإمة المسماة في الخطوط المسماة كوتي •

وشناب ملك أدمة وششبير ملك صبوئيم وملك بالع وقد ذكر
أن هؤلاء اجتمعوا في غور السديم وهو بحر الملح - والأرجح أن
المقصود به بحيرة لوط أو البحر الميت - وأنهم خضعوا
لكدرلاعومر اثنى عشرة سنة ثم عصوه ، حيث تفيد العبارة أن
الغزاة المتحالفين تغلبوا على ملوك البلاد وأخضعوهم ، وأن رئاسة
الحلف كانت لكدرلاعومر ملك عيلام ، ثم ذكر الاصحاح نفسه
أن كدرلاعومر والملوك الذين معه أقبلوا حينما أعلن ملوك
الأرض العصيان ف ضربوا الرفائيين في عشتروت فرنايم والزوزيين
في هام والايبيين في شوى فرينائم والحووريين في جبل سعيير الى
سهل فاران الذى عند البرية ثم رجعوا وجاءوا الى عين مشفط
وهى قادش ف ضربوا كل أرض العمالقة والأموريين المقيمين في
حصون تamar وخرج ملك سدوم وملك عمورة وملك أدمة وملك
صبوئيم وملك بالع فصافوهم للحرب في غور السديم . فانهزم
ملكا سدوم وعمورة وسقطا في آبار الحمر التى في الغور
والباقون هربوا الى الجبل . وغنم الغزاة جميع أموال سدوم
وعمورة وجميع ميرتهم ومضوا وأخذوا لوطا ابن أخى ابرام
وماله وجاء من أخبر ابرام العبرانى - ابراهيم الذى كان اسمه
ابرام ثم سماه الرب ابراهيم على ما جاء في الاصحاح من سفر
التكوين وهو مقيم عند بلوطات ممرا الأمورى أخى أشكول
وعانر وهم حلفاؤه . فجرد ابرام حشمه المولودين في بيته وعددهم

٣١٨ وجد في أثرهم وتفرق عليهم ليلا هو وعبيده فكسروهم
واتبعهم الى حوبة التي عن يسار - دمشق واسترجع جميع المال
ولوطا والنساء وسائر القوم * فخرج ملك سدوم الى لقائه
والملوك الذين معه * وأخرج ملكيصادق ملك شليم خبزا وخمرا
لأنه كان كاهنا لله العلي وباركه وأثنى على الله الذي دفع
أعداءه الى يديه وأعطاه العشر من كل شيء وقال له ملك
سدوم : أعطني النفوس وخذ المال * فقال له ابرام رفعت يدي
الى الرب العلي لا أخذت خيطا ولا شركا نعل من جميع مالك
لئلا تقول أنا أغنييت ابرام ، ما خلا ما أكله الغلمان ونصيب القوم
الذين مضوا معي عانر وأشكول وممرا فانهم يأخذون نصيبهم *
وتدل العبارة على أن جماعة الآموريين الذين كان ابراهيم نازلا
عندهم وحليفا لهم قد زحفوا معه لاستخلاص لوط والأموال
والنساء *

- ٣ -

ونستطرد الى بعض البيانات عن الملوك والشعوب المذكورة
في سياق غزوة كدرا لعومر وحلفائه ، لأن في ذلك بعض الفائدة
في تعريف حالة البلاد وسكانها في ظروف طرؤ ابراهيم ، فنقول :
١ - ان عبارة الاصحاح الرابع عشر تدل على أن مدن أدمه

وحبوثيم وسدوم وعمورة وبالع كانت كراسى لخمس ممالك
كانت موجودة قبل طرء ابراهيم . وكانت في وادى الأردن على
ما تفيدده عبارة السفر . واللحة العربية بادية على الأساء حيث
يسوغ القول انها وملوكها من الجنس العربى ، وقد يكونون من
الكنعانيين .

٢ - ان مفسرى أسفار العهد القديم ذكروا ان مواقع الرفائين
والزوزين والايسين والخورين ومدنهم المذكورة فى الاصحاح
الرابع عشر فى شرق الأردن (١) والخبر يدل بطبيعة الحال على
أن هذه المدن كانت قائمة قبل طرء ابراهيم وأن هذه المنطقة كانت
مأهولة بشعوب شتى ، وربما كان لكل منها مملكة وكانت كل
مدينة كرسيا لمملكة أسوة بسا تدل عليه العبارة بالنسبة لسدوم
وعمورة وصبوئيم وأدمة وبالع .

٣ - لقد ذكرنا قبل شيئاً عن الأمورين بسا يغنيا عن التكرار
٤ - ان الخورين ذكروا مرة أخرى فى الاصحاح السادس
والثلاثين من سفر التكوين فى سياق ذرية عيسو بن اسحق
وسكنها جبل سعيير وقبائلها وزعائها فى أرض آدوم الذى هو
اسم ثان لعيسو . وسعيير أو آدوم هى المنطقة الجنوبية من شرق
الأردن التى تقع فيها معان وبعض أنحاء العقبة ووادى موسى .

(١) كتاب مقال فى العبرانيين المديس ص ٢٠ وما بعدها .

وقد جاء ذكرهم بهذه العبارة : «هؤلاء بنو سكير الحورى سكان الأرض ، لوطان وشوبال وصبعون وعانة وديشون وايصر وديشان . هؤلاء زعماء الحوريين بنى سكير فى أرض آدوم . وبنو لوطان حورى وهيمان وأخت لوطان تستاع . وهؤلاء بنو شوبال : علوان ومنحت وعيبال وشنو وأونام . وهذان ابنا صبعون : آية وعانة . وعانة هذا هو الذى وجد المياه الحيمة فى القفر حين كان يرعى حمير صبعون آيه . وهذا ابن عانة ديشون، وبنت عانة أهليامة . وهؤلاء بنو ديشان : حمدان وأشبان وتيران وكران . وهؤلاء بنو ايصر : بلهان وزعوان وعفان . وهذان ابنا ديشان : عوض وآران وهؤلاء زعماء الحوريين : الزعيم لوطان والزعيم شوبال والزعيم صبعون والزعيم عانة والزعيم ديشون والزعيم ايصر والزعيم ديشان . هؤلاء زعماء الحوريين فى أرض سكير» . ومن المحتمل أن تكون الأسماء الاولى هى لأصحاب رئاسات الفروع التى كانت تسمى بأسماء آبائها الأولين والثانية لأصحاب رئاسات على مدن خاصة سميت بأسماء الفروع .

والعبارة قد تفيد ان هذه القبائل والزعامات كانت موجودة حينما طرأ بنو اسرائيل على منطقة جبل سكير امتدادا لوجودهم فيها منذ حياة ابراهيم حيث تعرضوا آنذاك لغزوة العراقيين وذكروا بمناسبتها . واللمحة العربية القديمة بادية على الأسماء

بقوة حيث يسوغ القول انهم من أرومة عربية الجنس حلت
في جبل سعيّر قبل القرن العشرين قبل الميلاد بمدة ما وامتد
وجودها ونشاطها الى زمن خروج بنى اسرائيل من مصر في القرن
الثالث عشر وبعده * ولاسيما ان هذه المنطقة متصلة بجزيرة
العرب مباشرة ومن المعقول ان تكون من أول مجالات تسوج
الجماعات التي كانت تخرج من جزيرة العرب آنا بعد آخر * ولا
يبعد ان تكون كنعانية الأرومة لانه كانت في هذه المنطقة جماعات
من الكنعانيين لهم مدنهم وممالكهم *

ولقد ذكر الاصحاح السادس والثلاثون ايضا في سياق
ذكر الحوريين وزعمائهم ومواليد عيسو بن اسحق الذي سكن
جبل سعيّر ونست ذريته فيه وصار له فيه قبائل وزعامات ايضا
سلسلة أسناء الملوك الذين ملكوا في أرض آدوم قبل ما ملك
ملك لبنى اسرائيل وهذه السلسلة هي : (١) بالع بن يعور وكانت
مدينته - أي عاصسته على الأرجح - دنهابه (٢) يوباب بن زارح
من بصره وملك بعد بالع (٣) حوشام من أرض التيمانى وملك
بعد يوباب (٤) هداد بن بداد وكانت مدينته عويت وملك بعد
حوشام وهو الذي كسر مديان في بلاد مؤاب (٥) سملة بن سريقة
وملك بعد هداد (٦) شاوول من رحبوت النهر وملك بعد سملة
(٧) بلع حانان بن عكبور وملك بعد سملة (٨) هدار من مدينة
فاعو وملك بعد بلع حانان *

ولا يصف السفر أرومات هؤلاء الملوك • واللحة العربية
بأدية على أسمائهم وأسماء مدنها حيث يسوغ القول أنهم من
الأرومات العربية الجنس • ويظهر من العبارة أن الملوك من عشائر
وأسر مختلفة ومن مدن مختلفة أيضا • ولعل كلا منهم كان ملكا
في مدينته ثم كان يفرض حكمه على جميع منطقة آدوم التي كانت
تشغل الجزء الأكبر من شرق الأردن من ناحية الجنوب • ولما
كان أول ملك لبني إسرائيل هو شاوول الذي يسميه القرآن
طالوت وكان حكمه في القرن الحادي عشر قبل الميلاد فيكون
حكم هؤلاء الملوك في الحقبة السابقة لهذا الظرف • ولا يمكن
الجزم بما اذا كان هؤلاء الملوك هم جميع من تولوا ملك المملكة
الآدومية قبل قيام ملك لبني إسرائيل أو قسما منهم وان كنا نميل
الى الرأي الأخير لأن ملك ثمانية ملوك مهما طال لا يزيد عن مئتين
أو ثلاثمائة سنة في حين أن وجود الأرومات العربية الجنس في هذه
المنطقة يستد الى ما قبل القرن العشرين قبل الميلاد بكثير • ومن
المحتمل ان يكون هؤلاء الملوك من الحوريين •

٥ - لم يذكر العمالة مرة أخرى في سفر التكوين ، ولكنهم
ذكروا في الأسفار الأخرى بنسابة ما كان بينهم وبين بني إسرائيل
بعد خروجهم من مصر من أحداث وبأسلوب يفيد ان هذا الاسم
كان أحيانا يطلق عليهم كوصف للدلالة على ما كان أصحابه عليه

من بسطة القامة والجسم كما كان يطلق عليهم وصف آخر لنفس
الدلالة وهو الجبابة • وأن منازلهم في جنوب شرق الاردن مما
يلى صحراء سيناء او النقب • وأسماءهم وأسماء مدنهم تحل
اللمحة العربية بحيث يسوغ القول أيضا انهم من أرومة عربية
الجنس حلت في بعض انحاء شرق الأردن وصحراء النقب قبل
القرن العشرين قبل الميلاد واستمرت قائمة الى زمن قدوم بنى
اسرائيل من مصر وما بعده امتدادا لما قبل •

٦ - لقد ذكر الرفائيون في الاصحاح الخامس عشر من سفر
التكوين ثانية في جلة ما ذكر فيه من الأقوام الذين كانوا
يسكنون الأرض • ثم ذكروا في الاصحاح الثانى من سفر التثنية
في سياق نهى الرب عن معاداة المؤايين بهذه العبارة «الأيمنون
سكنوا فيها - أى في أرض مؤاب - فعلا شعب كبير وطويل
كالعناقيين • هم أيضا يحسبون رفائيين (١) كالعناقيين لكسن
المؤايين يدعونهم ايمنين» • ثم ذكروا في الاصحاح الثالث من
السفر نفسه في سياق ذكر عوج ملك باشان بهذه العبارة «ان
عوج ملك باشان وحده بقى من بقية الرفائيين» • واسم مدينتهم
«عشروت فرنيم» التى ذكرت في الاصحاح الرابع عشر من

(١) هذه العبارة في النسخة البروتستانتية • أما النسخة الكاثوليكية فانها
ذكرت كلمة جبابة بدلا من كلمة رفائيين • غير انها ذكرت الرفائيين صراحة في
الاصحاحين الرابع عشر والخامس عشر من سفر التكوين •

سفر التكوين تحبل اللمحة العربية القديمة وعشروت خاصة كانت ترمز الى أحد الآلهة السماوية العربية في بلاد اليمن والشام والعراق بحيث يسوغ القول انهم كذلك أرومة عربية الجنس حلوا في بعض أنحاء شرق الاردن وغربه قبل القرن العشرين قبل الميلاد وأنشأوا المدن والممالك واستروا فيها الى وقت قدوم بنى اسرائيل من مصر •

٧ - لقد ذكر الأيميون في الاصحاح الثانى من سفر التثنية فوصفوا بالكثرة والطول وقال الاصحاح انهم كانوا في المنطقة التى حل فيها المؤايون أبناء لوط وهم يحسبون جبارة كالعناقين وهذه المنطقة من مناطق شرق الاردن واللمحة العربية بادية على اسم مدينتهم شوى فرينائيم بحيث يسحب الكلام الذى قلناه بالنسبة للعائلة والخوريين عليهم •

٨ - لم يذكر الزوزيون مرة أخرى • واسم مدينتهم هام التى ذكرت في الاصحاح الرابع عشر يحمل اللمحة العربية وينسحب عليهم ما قلناه عن الأيمن والرفائين والعمالقة والخوريين كما هو المتبادر •

٩ - ان مفسرى العهد القديم يراوون تخمينهم عن شليم التى ذكرت وذكر ملكها ملكيصادق فى سياق غزوة كدرا عومر وتخليص ابراهيم للوط والسبى والأموال بين أن تكون القدس التى سميت أورشليم وبين أن تكون مكان القرية القائمة اليوم

شرق نابلس لجهة الغور التي يقال لها سالم (١) • وقد ذكرت
 شليم في الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التكوين بوصفها
 مدينة أهل شكيم • وقد يؤيد هذا كون شليم هي سالم اليوم
 لأنها قريبة الى نابلس التي قامت مقام شكيم • واللمحة العربية
 بادية على اسم الملك والمدينة بقوة ومن المحتمل أن يكون من
 الكنعانيين •

وتفيد العبارة أن ملكيصادق كان موحدًا • ولا يعرف على
 وجه التحديد ماذا كان يقصد بكلمة كاهن التي وصف بها في ذلك
 الوقت ولعلها كانت تعني النبوة أو ما في مؤداها • وهكذا تكون
 فكرة التوحيد قائمة في أرض كنعان قبل قدوم إبراهيم إليها •

٤ -

ونعود الآن الى سياق سيرة إبراهيم وذريته فنقول ان
 الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين ذكر خبر تجلى الرب
 لابراهيم مرة أخرى ووعده له باخراج ذريته منه وتكثير نسله
 واخباره بان ذريته ستكون غريبة في أرض ليست لها وتستعبد

(١) مقال في المبرانيين للديس ص ١٠٠ وما بعدها •

فيها وتعذب اربعمائة سنة ثم ترجع في الجيل الرابع الى الأرض
ثم بت معه عهدا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر
الى النهر الكبير نهر الفرات وسأمكنكم من القنين والقنزين
والقدمونين والحيشين والفرزيين والرفائيين والآموريين
والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين •

ويلحظ أن وعود الرب لابراهيم كانت قبل قاصرة على أرض
كنعان التي كان يفهم من عبارة الاصحاحات انها الواقعة غرب
الأردن بينما يحتوى هذا العهد هذه الحدود الشاسعة الواسعة
وهذه الأقوام العديدة • وهذا فضلا عن وعد التكين والغلبة
على السكان الذي لم يرد قبل والذي يعنى بالبداهة أنه سيتم
بالقوة والقهر مما يسوغ القول ان تدوين العهد بهذا الشكل
متأثر بما كان من وقائع وأحداث بنى اسرائيل بعد خروجهم
من مصر وبما كان من غلبتهم بالقوة والحرب والدم على ما غلبوا
عليه من البلاد وأهلها • وذكر حياة ذرية ابراهيم في أرض غريبة
وتعرضها للتعذيب والاستعباد اربعمائة سنة ثم رجوعها الى أرض
كنعان وتمكينها من تلك الحدود والأقوام مما ينسحب عليه هذا
القول بل ولعله من مؤيداته •

ولقد مر ذكر الرفائيين والآموريين والكنعانيين قبل وعرفناهم

أما بقية الشعوب التي ذكرت في الوعد المزعوم من الله لابراهيم الذي احتواه الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين فانها تذكر هنا لأول مرة •

ولقد تكرر ذكر الحِيثيين وبنى حث في سفر التكوين والسفر الأخرى بأسلوب يفيد أنهم كانوا يشغلون حيزا في أرض كنعان، حيث ذكروا في الاصحاح الثالث والعشرين بمناسبة شراء ابراهيم من عفرون الحثي حقلا ومغارة في قرية أربع لدفن سارة ، وقد وجه ابراهيم في هذه المناسبة الخطاب الى بنى حث وقال لهم «انى غريب ونزيل عندكم» • وقرية أربع هي حبرون ، ومعنى هذا أن الحِيثيين في هذا الخبر كانوا في منطقة حبرون ، ثم ذكروا في الاصحاحين السادس والعشرين والسداس والثلاثين بمناسبة نزوح عيسو بن اسحق حينما كان مقيما في قرية أربع بامراتين منهم ، اسم احدهما يهوديت بنت بنى الحثي وثانيهما بسة بنت ايلون الحثي • وذكروا في أسفار يشوع والقضاة بأسلوب يدل على أنهم كان لهم بعض الشأن والحيز في غسرب الأردن بمناسبة طروء بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر امتدادا لكيانهم السابق ، وذكروا في سفر صموئيل الثاني - الملوك الثاني في النسخة الكاثوليكية - بمناسبة ذكر قائد منهم اسمه أوريا أحب داود زوجته وضاجعها حسب ما ذكر فيه ، حيث ينبه ذلك أن هذا

القبيل ظل مستمرا ذا نشاط وبرز الى ظروف خسروج بنى اسرائيل من مصر وطروئهم على غرب الأردن ، ثم الى ما بعد ذلك بأمد طويل •

ومن المعروف انه كان فى شمال سورية شعب اسمه حيثا الذى عرب الى الحيثيين كان له بروز ونشاط وملك وحروب فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد وبعده ، ومعظم الباحثين يذهبون الى أن هذا الشعب من الجنس الآرى عدا مفسرى العهد القديم الذين يأخذون أنساب سفر التكوين قضية مسلمة ويقولون ان حيثا هو أحد أبناء كنعان بن حام بن نوح (١) •

ولقد وصف الاصحاح السادس والثلاثون من سفر التكوين زوجتى عيسو الحيثيتين بصفة بنات كنعان • والاسماء الحيثية التى وردت فى هذا السفر تحمل اللمحة العربية ، ولا ندرى هل هذا وذاك كان بسبب كون كثرة سكان الأرض كنعانيين وغلبة طابعهم عليهم ، وأنهم جالية من الحيثيين الشماليين جاءت الى هذه المنطقة واستقرت فيها قبل القرن العشرين قبل الميلاد ثم استمرت فيها وانطبعت بالطابع الكنعانى أم لانهم حقا اخوة الكنعانيين أو فرع من فروعهم •

(١) سفر التكوين الاصحاح ١٠ والمجلد الاول الجزء الاول من تاريخ سورية للديبس ص ١٥٤ وما بعدها •

أما الاسماء الأخرى فمنها ما تكرر ذكره في الأسفار التي ذكرت قصة خروج بني إسرائيل من مصر وطروئهم على شرق الأردن وغربه في جملة سكان الأرض وأهلها • أى أنهم ظلوا إلى أن جاء بنو إسرائيل في القرن الثالث عشر • وقد ذكر الفرزيون في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التكوين في مناسبة بما يدل على أنهم من سكان منطقة شكيم - نابلس اليوم - وذكر اليبوسيون في الإصحاح الخامس عشر من سفر يشوع بما يدل على أنهم كانوا سكان مدينة أورشليم • وفي الإصحاح العاشر من سفر التكوين هذه العبارة «وكنعان ولد حيدون بكره وحثا • واليبوسى والأمورى والجرجاشى والحوى والعرقسى والسنى والأروادى والصسارى والحنانى • وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعانية» والعبارة تفيد أن هذه الشعوب تجتمع الجامعة الكنعانية •

ولئن كانت مواليد نوح الأولى الواردة في سفر التكوين تتحمل التوقف والحذر فإن مما يلحظ أن هذا السفر وبالتالي هذه العبارة قد كتبت لأول مرة في ظروف طرء بني إسرائيل على أرض كنعان واحتكاكهم بهذه الشعوب وتعرفهم إلى واقع أرومتها ونسبتها وهذا مما يسوغ تصويب أرومتها الكنعانية وخاصة أنها كانت تنزل في أرض كنعان • ومن المحتمل أن تكون

قد تميزت بميزة ما جعلتهم يذكرون منفردين أو أن تكون نسبتهم آتية من اسماء مدتهم *

ونعود الى سياق سيرة ابراهيم فنقول ان الاصحابين السادس عشر والحادي والعشرين احتويا قصة عقم ساراي وعرضها على ابراهيم الدخول على جاريتها هاجر المصرية ، وحمل هذه باسماعيل وغيره ساراي منها واضطهادها لها وطلبها من ابراهيم بعد ولادتها اسحق ابعادها مع ابنها ، واشتداد الطلب على ابراهيم وظهور ملاك الرب له وأمره باستماع كلام ساراي قائلاً بلسان الرب «باسحق يدعى لك نسل * وابن الأمة ايضا اجعله أمة فانه نسلك» ثم قصة صرف ابراهيم لهاجر مع ابنها وتيهها في بركة بئر السبع واتجاهها بعد ذلك بأمر الرب الى بركة فاران واقامتها فيها وتزويجها اسماعيل بامرأة من أرض مصر *

ويلتح في القصة وخاصة في محاولة تمييز نسل اسحق وجعله هو صاحب الصلة الاصلية بابراهيم أثر ما كان من أحداث بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر وسيرتهم في شرق الاردن وغربه *

وفي الاصحاح السابع عشر خبر تجلى الرب لابرام قائلاً له «انا الله القدير اسلك أمامي وكن كاملاً فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك جداً * وتكون أباً لجمهور أمم ولا يكون اسمك ابرام بل ابراهيم * وأجعلك أمماً ويخرج منك ملوك وأعطيك

أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع أرض كنعان ملكاً
مؤبداً وأكون لهم الهاً» وقد أمره في هذا التجلي بالاختتان كسنة
مستمرة له ولنسله وعلامة عهد بينه وبينهم . وقال الله لأبراهيم
« ساراي امرأتك لا تسمها ساراي بل سمها سارة وأنا أباركها
وأعطيك منها ابناً ويكون منها أمم وملوك . فسقط إبراهيم على
وجهه وضحك وقال في نفسه الابن مئة سنة يولد ، أم سارة
وهي ابنة تسعين تلد ؟ ثم قال للرب لو أن اسماعيل يحيى بين
يديك فقال الله بل سارة ستلد لك ابناً وتسميه اسحق وأقيم
عهدي معه عهداً مؤبداً لنسله من بعده . وأما اسماعيل ففقد
سمعت قولك فيه وها أنا أباركه وأنييه وأكثره جداً ويلد اثني
عشر رئيساً وأجعله أمة عظيمة غير أن عهدي أقيم مع اسحق
الذي تلده سارة وحينئذ ختن نفسه وختن ابنه اسماعيل وكل
رجال منزله مواليد بيته وعبيده الغرباء »

وأثر ما نبهنا عليه من تعصب بني إسرائيل ومزاعمهم
الاختصاصية أننا ملسوح في هذه النصوص التي جاءت لتؤكد
مرة أخرى جعل اسحق بأمر الله هو صاحب النسبة الأصلية
إلى إبراهيم .

في الأصحاحين الثامن عشر والتاسع عشر قصة غضب الله
على سدوم وعمورة لأنامهما وإرساله الملائكة لتدميرهما

وامطارهما نارا وكبريتا وقلب عليهما سافلا ، وفى الاصحابين
نصوص عديدة فيها خبر تجلى الرب لابراهيم ولوط وقسودم
الملائكة اليهما ومجادلة ابراهيم للرب فى شأن هلاك سدوم
وعمورة .

ومما ذكره الاصحاب التاسع عشر تأمر ابنتى لوط على أيهما
بعد تدمير سدوم وعمورة ونجائه منهما لثلاثيوت بدون نسل
حيث أسكرتاه وضاجعتاه واحدة بعد أخرى فى مغارة قرب
صوغة التى كان اسمها بالبع فولد لكبراهما ابن سمته مؤاب
وهو ابو المؤابيين وولد لصغراهما ابن سمته عمى وهو أبو
العمونيين .

ونستطرد الى القول بان الأسفار التى احتوت قصة خروج
بنى اسرائيل من مصر وطروئهم على شرق الاردن وغربه وتاريخهم
فيهما ذكرت المؤابيين والعمونيين كثيرا بما يفيد أنهم كانوا
أصحاب قوة وملك وحيز كبير وظلوا كذلك الى أمد طويل أيضا
وفى الاصحاب الثانى من سفر التثنية نهى من الرب لبنى اسرائيل
عن معاداتهم وتنبيه لهم بانه ليس معطيهم من أرضهم شيئا ولو
موطىء قدم لانه جعلهما ميراثا لبنى لوط .

وليس ما يمنع أن يكون المؤابيون والعمونيون من ذرية
لوط كما أنه ليس ما يمنع أن يكون ذكر ذلك متأثرا بما كان من

واقع ودعوى حين طرء بنى اسرائيل على شرق الأردن فأريد به ربطه الحاضر بالماضى بقطع النظر عن صحته وعدمها •
 وإذا صح فالمرجح أن لا يكون بنو لوط قد احتفظوا بدمهم وأن يكونوا قد اختلطوا بنى كان فى الأرض قبلهم وان كانوا احتفظوا باسرى أبويهما الأولين واستطاعوا أن يجعلوهما شاملين لجميع السكان والمنطقة • ووصف الأيبين والزميين بالوصف القوى الذى وصفوا به يقوى ترجيحنا ، فانه لا يعقل أن يكون بنو لوط قد أبادوهم • وبنو اسرائيل مع ما عمدوا اليه من شدة القمع والابادة لم يبيدوا سكان فلسطين • وكل ما يمكن أن يكون انهم حلوا فى أرضهم وبرزوا عليهم فاختلفوا ببعض وصار الخليط يسمى مؤايين وعسويين •

وفى الاصحاح العشرين من سفر التكوين خبر ارتحال ابراهيم الى أرض الجنوب واقامته بين قادش وشور ونزوله بجرار التى يقول الدبس انها واقعة شرق خان يونس وأن مكانها يعرف اليوم باسم أم الجرار فالمنطقة التى ارتحل اليها والحالة هذه هى منطقة بئر السبع • وقد قص الاصحاح قصة تشبه قصة سارة مع فرعون ، حيث قال ابراهيم عنها انها أخته فبعث أييمالك ملك جرار فأخذها وباتت عنده • ويقول الاصحاح : « ان ملك الله جاء الى الملك بالليل فأنذره بالهلاك وأمره برد سارة الى زوجها فيدعو له ويحيى لأنه نبي » فبكر أييمالك ودعا ابراهيم وعاتبه

فقال له انى خفت أن أقتل بسبب امرأتى فردها اليه وأعطاه غنما
وبقرا وعبيدا واماء وقال له هذه بلادى بين يديك فأقم حيث طاب
لك ، وأعطى سارة ألفا من الفضة تكون لها حجاب عين حيثما
ذهبت قائلا لها : اذكرى انك أخذت * وهكذا على رأى الاصحاب
قد عاد على ابراهيم بسبب امرأته أموال عظيمة للمرة الثانية *
ومن غرائب القصة ما تنطوى فيه من معنى احتفاظ سارة بجمالها
الذى أغرى الملك ، مع أنها كانت قد بلغت التسعين من عمرها على
ما ذكره اصحاب سابق !

وفى الخبر ما يفيد أن منطقة جنوب فلسطين أو منطقة بر
السبع والنقب كانت فى ذلك الزمن مأهولة وكان فيها مدن
وممالك * والأسماء الواردة أى قادش وجرار وأيمالك تحمل
اللهجة العربية القديمة وتسوغ القول بالتالى ان هذه المنطقة
كانت مأهولة بالأرومات العربية الجنس أسوة بأنحاء فلسطين
الأخرى *

ومهما يكن من أمر قصة ابراهيم وساراي مع ملكى مصر
وجرار فمما يتبادر للذهن أن تسجيلها على الوجه الذى سجلت
به قد كان عاملا فيما عرف من اتساع حوصلة بنى اسرائيل
وحيلهم وعدم تورعهم عن مواقف مماثلة بسبيل وقاية أنفسهم
وجر المغانم فى وقت واحد !

وفي الاصحاح الرابع والعشرين قصة وصية ابراهيم لكبير عبيده الذي وصف في الاصحاح الخامس عشر بقيم بيته واسمه اليعازر الدمشقي بأن لا يزوج ابنه اسحق من بنات كنعان بل يزوجه من أرضه وعشيرته وذهب هذا الى آرام النهرين حيث مدينة فاحور أخى ابراهيم وخطبته ابنته رفقة في سياق طويل . والراجع أن هذا كان جريا على عادة تتحكم دائما في الناس المتغربين وهو جنوحهم الى التزوج من أهلهم دون الغرباء الذين يساكنونهم . ولا يرد أن ابراهيم رغب عن الكنعانيات لوئيتهن، فان أسرته في آرام النهرين كانت وظلت وثنية ، على ما تفيدته عبارة وردت في الاصحاح الحادى والثلاثين من سفر التكوين حيث سرقت راحيل زوجة يعقوب أصنام ابيها حينما انصرف زوجها مع نسائه وأولاده ومواشيه من حاران .

وفي الاصحاح الخامس والعشرين خبر زواج ابراهيم بزوجة جديدة اسمها قطورة بعد وفاة سارة وولادتها منه ستة أولاد وهم زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوفا . ثم استطرد الاصحاح فقال وولد يقشان شبا وددان . وبنو ددان هم أشوريم ولطوشيم ولثوميم . وبنو مديان عيفة وعفر وحوك وأبى داع والدعة وبعض هذه الأسماء كان مدنا أو قبائل في ظروف خروج بنى اسرائيل من مصر وطروئهم على شرق الأردن . ومما يتبادر الى الذهن أن التسميات متأثرة بما كان من واقع حين تدوين

السفر أريد به ربط الحاضر بالماضى بقطع النظر عن صحته جزئيا
أو كلياً .

ثم قال الاصحاح «وأعطى ابراهيم جميع ماله لاسحق ووهب
لبنى السرارى هبات وصرفهم عن اسحق ابنه فى حياته شرقا الى
أرض المشرق» ومع أن الكلام عن قطورة وأولادها فقد جاءت
جملة « أبناء السرارى » بصيغة الجمع لتشمل اسماعيل أيضا
كما هو المتبادر ، مما فيه أثر زعم الاختصاص الذى نبهنا عليه
ومحاولة حصر ارث ابراهيم باسحق وارث اسحق يبعثون دون
غيرهما كما هو ظاهر . ثم ذكر الاصحاح خبر وفاة ابراهيم ودفنه
من قبل ابنه اسحق واسماعيل فى مغارة المكفيلة فى حقل عفرون
الحثى . وذكر اسماعيل فى الخبر عجيب لأن ابراهيم أبعدده مع
أمه كما ذكر الاصحاح الحادى والعشرين الذى ذكر أنهما استقرا
فى بركة فاران !

وفى الاصحاح نفسه ذكرت مواليد اسماعيل هكذا : نايوت
وقيدار وأدبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسا وحدار وتيما
ويطور ونافيش وقدمه . ثم قال الاصحاح هؤلاء بنو اسماعيل
وهذه أسماؤهم بحسب أحويتهم وحظائرهم اثنا عشر زعيما
لقبائلهم وكانت مساكنهم من حويلة الى شور التى تجاه مصر .
وبعض هذه الاسماء كان مدنا وقبائل حين خروج بنى اسرائيل
من مصر وطروئهم على شرق الأردن ، والعبارة تفيد أنهم يذكرون

على اعتبار انهم نموا وترعرعوا وغدوا قبائل كل منها تسمى باسم احد الابناء الأولين التي تنتسب اليه ، وتفيد أن هذا كان الواقع حين دونت وأن فيها محاولة ربط الحاضر بالماضي بقطع النظر عن صحة بنوة هذه القبائل لاسماعيل وعدمها * ومن الجدير بالذكر أن الأسفار التي ذكرت سيرة خروج بني اسرائيل من مصر وطروئهم على شرق الاردن واحتكاكهم بالشعوب التي في طريقهم لم تذكر لقاء ولا صدا ما بينهم وبين هذه القبائل التي قال الاصحاح انها ذرية ابناء اسماعيل * ولقد ذكرت بركة فاران التي ذكر الاصحاح الحادي والعشرون من سفر التكوين أنها كانت منزل اسماعيل وأمه ومستقره في جملة المواقع التي مروا بها في طريقهم الى أرض كنعان على ما ذكره سفر العدد في الاصحاح الثالث عشر *

وفي الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ذكر خبر ولادة عيسو ويعقوب لاسحق * وكانا توأمين ، وكان عيسو الأول نزولا * وكان أكلف اللون كفروة شعر فسمى عيسو وخرج يعقوب قابضا على عقب عيسو فسمى يعقوب ومما ذكره الاصحاح

ان عيسو نشأ عارفا بالصيد برّيا ونشأ يعقوب رجلا سلميا مقيما بالخيام وأن اسحق أحب عيسو ، ورفقة أمهما أحبت يعقوب ، وأن يعقوب طبخ طبيخا وقدم عيسو من الصحراء تعباً فطلب من أخيه أن يطعمه فأبى إلا مقابل تنازله عن حق بكوريته فقال عيسو أنا صائر الى الموت فمالى والبكورية فتنازل ليعقوب عنها وحلف له على ذلك فأطعمه * وقد تكون القصة صحيحة أو لا تكون وقد يلمح فيها أثر فكرة تمييز يعقوب على عيسو وحرمان هذا من ارث اسحق وهى الفكرة الكامنة فى مزاعم الاختصاص التى كان وظل بنو اسرائيل وبنو يعقوب الذى كان اسرائيل اسمه الثانى يزعمونها لأنفسهم على ما نبهنا عليه قبل * وعلى كل حال ففيها صورة عجيبة للانانية القاسية وأثرها حتى فى أخ ازاء أخيه * ولقد كان يبدو تسجيلها ذا أثر عجيب فى بنى اسرائيل الى درجة أن صار المكر والاحتيال والكذب والخداع وسيلتهم المفضلة فى كل وقت الى اغتصاب حقوق الناس وتسخيرهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا وان يصبح خلقا راسخا من أخلاقهم يتوارثه الأبناء عن الآباء دهرا بعد دهر ويتأثر به كذلك الذين اعتنقوا اليهودية من غير بنى اسرائيل *

وفى الاصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين قصة نزول اسحق بأمر الرب الى أرض أييمالك ملك جرار بسبب الجوع الذى ألم بالارض التى كان فيها والتى هى منطقة حبرون

أو أربع على ما ذكره اصحاب آخر ، وتبلى الرب له ووعد له بالبركة واعطائه ونسله جميع البلاد وتكثير نسله مما يلمح فيه أثر الرغبة الاختصاصية التي نبهنا عليها قبل ، ومما ذكره الاصحاب ان اسحق قال عن زوجته - التي كانت معه وكانت جميلة - انها أخته وكادت قصة زوجة ابيه تتكرر لولا ان الملك اكتشف انها زوجته فعلا ، وأنه زرع فتضاعف زرعه مائة ضعف وصار له مواش وعبيد ، وأن ذلك أثار حسد الفلسطينيين (١) عليه وجعلهم يردمون الآبار التي حفرها ويخاصونه عليها مما جعله ينزح الى مكان بئر السبع ويحفر فيه بئرا ذات ماء عظيم ويسمى المكان بئر الشعب بسبب فيض ماء البئر ، وفي آخر الاصحاب خبر تزوج عيسو يهوديت بنت بئري الحثي وبسمة بنت أيلون الحثي وعدم رضاء نفس والديه عن ذلك .

وفي الاصحاب السابع والعشرين قصة طلب اسحق من عيسو أن يصنع له طعاما من صيده لتباركه نفسه وتحريض رقيقة ليعقوب بأن يصنع ذلك وأن يتقدم لأبيه ليأخذ بركته بدلا من أخيه ، وقد نكست يديه وملاسه عنقه بجلد من المعز ليكون ملمسه

(١) المتبادر ان القصد هو أهل المنطقة وأن السفر سماهم الفلسطينيين تأثرا بواقع وجود الشعب الذي عرف بهذا الاسم والذي كان يسكن في جنوب فلسطين حينما طرا بنو اسرائيل على ارض كنعان بعد خروجهم من مصر في حين أن طرود هذا الشعب انما كان في القرن الرابع عشر فقط على ما سوف نشرحه في مناسبة آتية .

لمس عيسو وتقدم لأبيه باسم عيسو وقدم اليه الطعام الذي
صنعه وكان اسحق قد عسى فلمس ابنه فرأى ملمسه ملمس عيسو
مع أن صوته صوت يعقوب ، ومع ذلك باركه قائلا « يعطيك الله
من ندى السماء ومن دسم الأرض ويكثر لك الحنطة والخمر
وتخدمك الأمم وتسجد لك القبائل وتكون سيدا لاختوك
ويسجد لك بنو أمك ويكون لاعتك ملعونا ومباركك مباركا .
وجاء عيسو بعد ذلك بالطعام الذي صنعه من صيده الى أبيه
وحينئذ أدرك اسحق الخديعة فارتعش ارتعاشا شديدا ولكنه
قال له قد جعلته سيدا لك ودفعت اليه جميع اخوته عبيدا
وبالحنطة والخمر أمددته فباذا أصنع لك ثم قال له لما بكى :
بمعزل عن دسم الأرض يكون مسكنك وعن ظل السماء من العلو
وبسيفك تعيش وأهلك تخدم وتكسر نيره عن عنقك اذا قويت ،
وقد أثارت الخديعة حقد عيسو وأضر الشر لأخيه مما جعل آده
تهربه الى ديار خاله لابان في حاران ليقوم بها مدة حتى ينقش
غضب أخيه عليه .

وفي القصة تكرار للصورة العجيبة من الأنانية وأثرها في
يعقوب ازاء أخيه عيسو ، وعجيبة اشتراك أم عيسو في مؤامرة
ضد ابنها وان كان يمكن ان يعزى ذلك الى كراهيتها لزوجتيه .
ثم عجيبة انخداع اسحق واصراره على حرمان عيسو وتفضيل
يعقوب بعد أن عرف بخديعة يعقوب له ، ومهما يكن من أمر فان

فكرة توكيد اختصاص يعقوب ونسله بالبركة والتبني وتسجيل سيادتهم على اخوتهم وابناء اخوتهم وسائر أمم الأرض وعبوديتهم لهم ملموحة بكل قوة في القصة منا جعل مدونى السفر يسبقون تدوينها مع ما فيها من تلك الصور العجيبة التى تسجل شدة أنازية وخداع يعقوب وغباء اسحق • والمتبادر أن هذا التسجيل من العوامل التى ظلت تدفع بنى اسرائيل الى الأثرة والانانية والخداع مهما كانت الوسائل والأساليب ••

- ٦ -

وفي الاصحاحات ٢٨ - ٣١ سياق طويل يقص فيه قصة وصية اسحق ليعقوب بأن لا يتزوج من بنات كنعان بل من بنات نخاله فى فدان أرام ودعوته له بأن يعطيه بركة ابراهيم له ونسله ليرث أرض غربته التى وهبها الله لابراهيم ، وذهابه الى حاران واتفاقه مع خاله لابان على خدمته سبع سنين مقابل زواجه بابنته راحيل وتقض لابان الاتفاق بزفاف ابنته ليه عليه بدلا من راحيل التى أحبها وخدمته لخاله سبع سنين أخرى مقابل زواجه براحيل وخدمته ست سنين لخاله مقابل قطعان من المواشى اعطاها له ، وهبه راحيل أمتها بلهة وليئة أمتها زلفة ليعقوب لاستيلادهما

في ظروف امتنعنا فيها عن الحمل ، وولادة رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذا وزبولون ويساكر وبننا اسمها دينة من ليئة ويوسف من راحيل ودان ونفتالى من بلهة وجاد واشير من زلفة أثناء مقامه في حاران (١) ، ونمو غنم يعقوب نسوا عظيما حتى أثار حسد وحقد خاله وابناؤه مما جعله ينصرف مغاضبا لهم بزواجه وأولاده ومواشيهِ وأمواله ويعود الى أرض كنعان . ومما ذكره الاصحاح الحادى والثلاثون ان راحيل سرقت أصنام أبيها ، وأن لابان وأبناءه خرجوا في أثر يعقوب وأدركوه في شرق الأردن وعاتبوه على فراره وسرقة اصنامهم وأن الرب تراءى للابان في الحلم - مع انه وثنى - وأمره بعدم مس يعقوب بشر مما جعله في النهاية يجنح الى مسالمتة وقطع عهد سلام معه . وقد ذكر الاصحاح الثامن والعشرون خبر رؤية يعقوب للرب في حلمه ووعدده له بتنمية نسله وتبارك جميع قبائل الارض به وبنسله واعطائه الأرض له وبنسله ، مما هو متأثر فيما هو المتبادر بفكرة اختصاص يعقوب بالبركة والأرض التى ظلت تحرك بنى اسرائيل وتحملهم على تسجيل ذلك المرة بعد المرة .

وفي الاصحاح الثانى والثلاثين قصة طريفة حيث ذكر ان رجلا ظهر ليعقوب وهو في طريقه فصارعه حتى مطلع الفجر وأبى أن

(١) المعروف ان أبناء يعقوب اثنا عشر وهؤلاء أحد عشر ، أما الثانى عشر فقد ولد له من راحيل بعد خروجه من حاران وهو بنيامين .

يطلقه حتى يباركه ، وقد سأله الرجل عن اسمه فقال له انه يعقوب فقال لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل اسراييل لانك اذا رؤيت عند الله فعلى الناس أيضا تستظهر (١) وسأله عن اسمه فلم يقله له وباركه ومضى وسمى يعقوب المكان فنوئل قائلا اني رأيت الله وجهها الى وجه ، مما يبدو فيه الخيال من جهة وفكرة تسجيل عناية الرب بيعقوب وتقديره علوه وبالتالي علو نفسه على الناس من جهة أخرى .

وفي هذا الاصحاح والاصحاح الذي يليه خبر لقاء عيسو مع يعقوب في الطريق وتخوف يعقوب منه لما يعرف من سابق حقه عليه واستغاثته الله بانقاذه ، واظهار عيسو الترحيب به والمودة له خلافا لما توقع ، وتقديم يعقوب اليه هدية من المواشي التي جاء بها ، ورجوع عيسو بعد ذلك الى سعيه ، واستمرار يعقوب في طريقه الى أن دخل أرض كنعان ونزل عند شكيم حيث ابتاع حقلا من أهلها وأقام مذبحا ودعا باسم الله القدير اسمه اسراييل .

وفي الاصحاح الرابع والثلاثين قصة عدوان شكيم بن حبور الحوي رئيس البلد على عرض دينة بنت يعقوب وشغفه بها وطلبها من أبيها لتكون زوجة له بواسطة أبيه . وقد عرض الأب على

(١) في النسخة البروتستانتية العبارة جاءت هكذا «لانك جامدت مع الله والناس وتدرت» .

يعقوب وبنيه تبادل الصحارة والاقامة بين ظهرائهم والانجار والتملك ، وأظهر استعداداه لاعطاء المهر الذى يطلبونه لدينة لأن ابنه علق بها . وقال بنو يعقوب لا نستطيع ان نعطي اختنا لرجل أقلف لأن ذلك عار علينا . فاذا اختن كل منكم فحينئذ نوافقكم ونصاهركم ونقيم عندكم ونضير شعبا واحدا . وكان ذلك منهم كيدا ومكرا على ما ذكره الاصحاب نفسه . ووافقته الفتى واختن واقنع أبوه أهل المدينة فاختن كل ذكر فيها حسب طلب بنى يعقوب وحينئذ استل شمعون ولاوى أخو دينة سيفين ودخلا المدينة آمنين وقتلا كل ذكر بما فيهم حصور وشكيم اغتاما لفرصة جراح الختان ووجعه وأخذوا اختهم وسبوا جميع نساء المدينة وأطفالها واستاقوا جميع ما فيها من بقر وغنم وحمير ونهبوا جميع أموالها . واستبد الخوف بيعقوب وقال لبنيه لقد أشقيتماني وأخبتما ريحى عند أهل الأرض والكنعانيين والفرزيين وأنا فى نفر معدود فيجتمعون على ويقتلوننى أنا وأهل بيتى ، ثم خرج من المنطقة بأمر الرب الى بيت ايل فأقام فيها مذبحا ثم ارتحل منها الى قرية أربع حيث كان ينزل أبوه اسحق .

والمبالغة بادية فى وصف ما فعله لاوى وشمعون من قتل جميع الذكور وسبى الاطفال والنساء ونهب جميع الاموال واستياق جميع المواشى وينقض ذلك ما حكاه الاصحاب من خوف يعقوب من أهل المنطقة وقراره منها الى محل بعيد مأهول

بشعب غير الشعب الذى يأهل منطقة شكيم حيث كانت هذه المنطقة مأهولة بالكنعانيين بينما كانت منطقة اربع مأهولة بالأموريين على ما مر بيانه *

ومهما يكن من أمر ففى القصة حادث غدر عجيب نحو شعب برمته بسبب عاطفة غرامية لشخص منهم ، وخاصة بعد أن أظهر هذا الشخص وأبوه رئيس البلد وأهل المدينة كل استعداد لتلافي الأمر ، ووافقوا على كل شرط ومنحوا يعقوب وبنيه كل شيء *
ومما لا ريب فيه أن تسجيل هذا الحادث من العوامل التى أصلت الروح التى صدر عنها هذا الغدر فى بنى اسرائيل وجعلتهم لا يتورعون عن ارتكاب مثله فى كل فرصة ومناسبة *

ونستطرد الى القول * ان اسم «الحوى» يذكر هنا لأول مرة وقد ذكر فى الاصحاح السادس والثلاثين اسم احدى زوجات عيسو بن اسحق هكذا «أهلييامة بنت عانة بنت صبعون الحوى» حيث يدل على أنه كان فى غرب الأردن أرومة تسمى الحويين *
وقد ذكر الخويون فى الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج أيضا فى جيلة من ذكر من أسماء شعوب أرض كنعان حين خروج بنى اسرائيل من مصر فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد *

ولقد قال الاصحاح الثانى عشر من سفر التكوين حينما ذكر خبر نزول ابراهيم لأول مرة عند شكيم «والكنعانيون حينئذ فى

الأرض» مما يستأنس به ويسوغ القول ان الحويين فرع من فروع الكنعانيين •

وفي الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين خبر تجلى الرب ليعقوب بعد خروجه من منطقة شكيم على الوجه الذى خرج به وتكرار وعده له بتسمية نسله واخراج ملوك من صلبه وجعل الأرض التى أعطاها لابراهيم واسحق له ولنسله والمتبادر ان هذا متأثر بفكرة الاختصاص التى ظلت تتحكم فى أذهان بنى اسرائيل وتجعلهم يسجلونه المرة بعد المرة •

وفي الاصحاح خيران عجيبان : أولهما قول يعقوب لأهله «أزبلوا الآلهة الغريبة التى بينكم» فسلموها اليه • أى أن أهل يعقوب لم يلبثوا أن تأثروا بمن كانوا يسكنون عندهم من أهل الأرض فاتخذوا أصنامهم آلهة لهم •

ولقد كانت زوجتا يعقوب حديثى عهد بالوثنية لأن لابان أباهما كان وثنيا وقد سرقت راحيل أصنامه على ما مر ذكره قبل قليل • ولقد ظل هذا ديدن بنى اسرائيل فى مختلف أدوار تاريخهم القديم حيث كانوا لا يلبثون أن ينحرفوا الى الوثنية تأثرا بمن كان حولهم من الشعوب على ما سوف نشرحه بعد • أما ثانى الخبرين : فهو مضاجعة راؤيين بكر يعقوب لبلهة زوجة أبيه وأم دان ونفتالى ، وانتشار الخبر عند الجميع • ومن العجيب أن الاصحاح لم يسجل أثرا لهذا العار الذى كان أعظم من عار هتك

عرض دينه ! ولقد تكرر مثل ذلك في تاريخ بنى اسرائيل على ما سجلته الأسفار مما سوف نوردّه بعد .
وقد ذكر في آخر الاصحاح خبر وفاة اسحق ودفنه من قبل ابنه يعقوب وعيسو واقحام عيسو في الخبر عجيب مثل اقحام اسماعيل في خبر دفن ابراهيم مع اسحق لأن عيسو قد تزح وسكن في جبل سعيّر في أقصى جنوب شرق الأردن !

- ٧ -

ولقد ذكر الاصحاح الثامن والعشرون أن عيسو لما رأى أن بنات كنعان شريرات في عيني أبيه الى اسماعيل فتزوج بنتا له اسمها محلة بالاضافة الى زوجاته الأوليات ثم ذكر الاصحاح السادس والثلاثون مواليد عيسو وزوجاته مع شيء من التناقض ، حيث سميت بنت اسماعيل هنا بسمّة وسميت زوجته الأوليان عادة بنت ايلون الحثي وأهلييامة بنت عانة بنت صبعون الحوى ووصفتا بصفة بنات كنعان . وقد ذكر الاصحاح انه ولد لعادة ولد اسمه اليغاز ولبسمّة ولد اسمه رعوئيل ولأهلييامة ثلاثة أولاد هم يعوش ويعلام وقورح . وهؤلاء ولدوا في أرض كنعان . ثم أخذ عيسو نساءه وبنيه وبناته وكل نفس في بيته وماشيته

وكل بهائمهم وانتقل الى أرض أخرى من وجه يعقوب أخيه • لأن
مالهما كان أكثر من أن يقيما معا في أرض غربتهما • وقد أقام
عيسو بجبل سعير • وهو أدوم وأبو الأدوميين • وهناك نمت
ذريته وكثرت • وقد ولد لأليفاز تيمان وأومار وصفو وجعثام
وقناز • وولد لرعوئيل نحت وزارح وشة ومزة • ثم يقول
الاصحاح وهؤلاء زعماء بنى عيسو : بنو أليفاز بكر عيسو
الزعيم تيمان والزعيم أومار والزعيم صفو والزعيم قناز والزعيم
قورح والزعيم جعثام والزعيم عماليق • وهذا الأخير هو ابن
لأليفاز من سرية اسمها تمناع • ثم بنو رعوئيل الزعيم نحت
والزعيم زارح والزعيم شة والزعيم مزة • ثم بنو أهلييامة زوجة
عيسو الزعيم يعوش والزعيم يعلام والزعيم قورح • وفي آخر
الاصحاح ذكروا مرة ثانية ببعض زيادة ونقص هكذا : هذه
أسماء زعماء عيسو بقبائلهم ومواضعهم بأسمائهم : الزعيم تمناع
والزعيم علوة والزعيم يثيت • والزعيم أهلييامة والزعيم أيلة
والزعيم فينون والزعيم قناز والزعيم تيمان والزعيم مبصار والزعيم
مجدئيل والزعيم عيرام •

وعبارة الاصحاح على تداخلها وركاكتها قد تفيد أن هذه
الأسماء أسماء القبائل التي تفرعت عن أولاد عيسو وظلت تتسمى
بأسمائهم وصار لكل منها زعامة تتسمى بأسمائها وأن هذه القبائل

والزعامات كانت قائمة في ظروف طرء بنى اسرائيل على شرق
الأردن وتخوم أدوم أو سير امتدادا لما قبل *
وليس هناك ما يمنع صحة ذلك كما أنه ليس هناك ما يمنع
القول انه أريد بذكر ما ذكر ربط ما كان واقعا موجودا من أسماء
ومسميات حين التدوين بالماضى البعيد بقطع النظر عن صحته
وعدم صحته *

والمرجح أن ذرية عيسو في سعي لم تبقى خالصة برغم أنها
ظلت تحمل أسماء أبناء عيسو الأولين وأنها اختلطت، بمن كان في
الأرض قبل قدومهم من الأرومات العربية الجنس وخاصة
بالحوريين الذين ذكروا في مناسبة سابقة باسم بنى سعي وسكان
جبل سعي كما جرى الأمر على ما رجحناه وشرحناه قبل بالنسبة
للسوايين والعنوين *

ولقد استطرد الاصحاح الى ذكر قبائل وزعماء بنى سعي
الحوري على النحو الذى أوردناه في الاستطراد البيانى لمن ورد
أسمائهم في الاصحاح الرابع عشر من أقوام ومدن بمناسبة
غزوة كدرلاومر بعبارة تفيد ان هذه القبائل والزعامات كانت
قائمة موجودة حينما طرأ بنو اسرائيل على شرق الاردن بعد
خروجهم من مصر * ثم استطرد كذلك الى ذكر الملوك الذين
ملكوا في أرض أدوم قبل قيام ملك لبنى اسرائيل والذين ذكرناهم
كذلك في ذلك الاستطراد البيانى * وليس في العبارة ما يوضح

هواياتهم * فمن المحتمل ان يكونوا من الحورين كما أن من
المحتمل أن يكونوا من ذرية عيسو * والغالب ان التسجيل تم
استنادا الى الروايات المتداولة حينما طرأ بنو اسرائيل على
شرق الأردن *

- ٨ -

وفي الاصحاح السابع والثلاثين خبر سكنى يعقوب في غربة
أبيه في أرض كنعان ثم اخبار يوسف أباه برؤية شنيعة شهداها
من اخوته بنى بلهة وبنى زلفة بينبا كان يرعى الغنم معهم دون
ايضاح لهذه الرؤية الشنيعة ، ثم تطرق الى تسجيل حب يعقوب
ليوسف اكثر من سائر بنيه وصنعه قميصا موشى له وبغض اخوة
يوسف لأخيههم حتى لم يكونوا يسلمون عليه ، ثم ذكر قصة حلم
يوسف ورؤياه الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة له ، مما
زاد في حسدهم وبغضهم له وجعلهم يتآمرون على قتله ثم يلقونه
في بئر فارغة لا ماء فيها ونزعهم عنه قميصه الموشى ، ويعيهم اياه
- لقافلة من الاسماعيليين مقبلة من جلعاد وسائرة الى مصر -
بعشرين من الفضة ، وذبحهم تيسا وغمسهم القميص بالدم وقولهم
لأبيهم انا وجدنا هذا القميص بهذا الشكل وقول يعقوب انه

قميص يوسف وإن وحشا ضارياً افترسه ، وتمزيقه ثيابه ونوحه
على ابنه دون أن يتعزى ، ويبيع الاسماعيليين يوسف في مصر
لفوطيفار رئيس شرط فرعون .

وليس ما يسنح أن تكون القصة صحيحة ، ومهما كان من
أمرها ففيها يسجل بنو اسرائيل الذين اثبتوها في مدوناتهم صورة
جديدة من صور الانانية القاسية من اخوة لأخيهم بعد ما سجلوا
مثل هذه الصورة من يعقوب لأخيه عيسو بصورة جديدة من
من صور الانانية من اخوة لأخيهم بدافع الحسد والغيرة مها
كان فيها من قسوة وأذى وخديعة . .

وفي الاصحاحات التاسع والثلاثين الى الخمسين وهو آخر
اصحاحات سفر التكوين قصة يوسف في مصر وشغف امرأة
فوطيفار به ، وسجنه وتعبيره رؤيا خادمى الملك فى السجن ، ثم
قصة حلم الملك وتعبير يوسف له ونيله الحظوة لديه وتسليمه
خاتمه وجعله قيسا على جميع أرض مصر ، وخزنه الغلال والطعام
لمواجهة سنى القحط التى تنبأ بها من حلم الملك ، واشتداد الجوع
فى الأرض وارسال يعقوب بنيه للامتيار ، وتظاهر يوسف
بالارتياح فيهم وطلبه احضار أخ لهم لم يحضر معهم - وهو
بنيامين أخى يوسف من أمه - ليكون رهينة لديه ، واحتجازه
حينما حضر بحجة سرقة جام فضية ، ثم تعريف يوسف بنفسه
لاخوته وطلبه منهم قدومهم هم وأبوه وأبنائهم وجميع أهلهم

واستحسن فرعون ذلك وأمره باعطائهم الدواب والعجلات والطعام والשיاب والفضة ، وارتحال اسرائيل بجميع ماله واهله وتجلى الرب في الطريق مشجعا اياه على الذهاب الى مصر ومكررا وعوده في جعله أمة عظيمة وهبوطه معه الى مصر ونزولهم في أرض جاسان التي خصصت لهم بأمر فرعون وتملكهم فيها ونموهم وتكاثرهم ، ووفاة يعقوب ووصيته ليوسف بنقل جثمانه ودفنه في مقبرة آبائه ، ووعد يوسف بذلك وتحنيطه جثته بعد الوفاة وصعود يوسف باذن الملك مع جميع اخوته في موكب عظيم جدا الى أرض كنعان ودفن يعقوب في مغارة المكفيلة ، ثم وفاة يوسف ووصيته لأهله باصعاد عظامه معهم حينما يصعدون عائدين الى الأرض التي أقسم الرب عليها لابراهيم واسحق ويعقوب ،

وقد احتوى الاصحاح السادس والاربعون أسماء وأعداد الذين صعدوا مع يعقوب من أبنائه وأحفاده . وقد بلغ عددهم ستا وستين نفسا من صلبه سوى نسوة بنيه ، وعددا يوسف وابنيه اللذين ولدا له في مصر .

وقد احتوى الاصحاح التاسع والأربعون قصة جمع يعقوب لبنيه قبيل وفاته ووصف كلا منهم وصفا فيه كثير من الغرابة . فقال عن رآيين أنت بكسرى وقوتي وأول قدرتي فاضل في

العز فرات كالماء لا تفضل لأنك علوت مضجع أبيك ودنسته (١).
 وقال عن شمعون ولاوى هيا أخوان سيوفهما آلات جور •
 مجلسهما لا تدخله نفسى وفى مجبوعهما لا تتحد ذاتى لأنهما فى
 سخطهما قتلا انسانا وفى رضاهما عرقبا ثورا • ملعون سخطهما
 فانه شديد • وغضبهما فانه قاس • أقسمهما فى يعقوب وأبددهما
 فى اسرائيل • وقال عن يهوذا اياك يحمد اخوتك • يدك على
 قذل أعدائك • يسجد لك بنو أبيك • يهوذا شبل أسد من فريسة
 سعدت يا بنى ، جثم وربض كأسد وكلبوة فمن ذا يقيمه • لا
 يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتى شيلو
 وتطيعه الشعوب • رابط بالجفنة جحشه وبأفضل كرمة ايسن
 أناته • غسل بالخمر لباسه وبدم العنب رداءه • عيانه اشد سوادا
 من الخمر وأسنانه أشد بياضا من اللبن • زبولون فى سواحل
 البحر يسكن وعند مرفأ السفن • وطرف تخذه الى صيدون •
 يساكر حصار ضخمرابض بين التخمين • وقد رأى الراحة ما أجودها
 والأرض ما أنزهها فأحنى كتفه للحمل وصار للمهنة عبدا • وأن
 يحكم لقومه كأحد أسباط اسرائيل • يكون ثعبانا على الطريق
 وأفعوانا على السبيل يلسع رسع الفرس فيسقط الراكب الى
 اللوراء • جاز يقحمه الغزاة وهو يقحم ساقتهم • أشير طعامه

(١) إشارة الى ما ذكرناه قبل من مضاجعته لسرية أبيه بلهة •

دسم وهو يعطى ملذات الملوك • نفتالى أيلة سائمة - وعمل -
يردد أقوال الحسنى • يوسف غصن مفرع على عين له فروع قلا
امتدت على سور • فأمرته أصحاب السهام ورمته واضطهدته
ولكن ثبتت قوسه بمتانة وتشددت سواعده يديه من يدى عزيز
يعقوب • من هناك الراعى صخر اسرائيل • من اله آبيك الذى
يعينك ومن القدير الذى يباركك • تأتى بركة السماء من العلو
وبركات العمر الراكد بركات الشديين والرحم • بركات أبيك
تضاف الى بركات آبائى الى منية الآكام الدهرية • لتكن على
رأس يوسف وعلى قمة نذير اخوته • بنيامين ذئب يفترس •
بالغداة يأكل غنيمة وبالعشى يقسم السلب » •

ولا شك فى أن هذا السياق الطويل الذى استغرق اثنى
عشر اصحاحا قد اختلط بكثير من الخيال وتأثر فى الوقت نفسه
بواقع ما كان من سيرة بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر •
ووصف يهوذا خاصة الذى كان له الملك والسلطان فى غرب
الأردن واستمر سلطانه الى أوائل القرن السادس قبل الميلاد
يقوم قرينة على ذلك • غير أن هذا لا يمنع أن يكون فى بعض
ما احتواه شىء من الحقيقة وخاصة فى أمر نزوح يعقوب وأولاده
الى مصر ونموهم وتكاثرهم فيها • وفى أوراق البردى المصرية
المحفوظة فى متحف لايد والتى ذكر فيها اسم عبريو - وقلا
أوردنا ترجمتها قبل - دليل على ذلك •

ويُخبر تاريخ نزوح يعقوب وأولاده إلى مصر بحوالى القرن
التاسع عشر قبل الميلاد ويظن أنه كان عهد حكم الهكسوس (١)
الذين هم من الأرومات العريية الجنس والذين يحتمل أن يكونوا
كنعانيين أو آراميين أو أموريين وبالتالي ممن يست اليهم
العبرانيون جنسيا ولغويا *

(١) المقد الثمين من ٧٦-٧٩ والكافي ج: ١ من ٤٤٤

خروج بنى اسرائيل من مصر

الى حلولهم فى شرق الاردن

- ١ -

ان سيرة بنى اسرائيل بعد يوسف فى مصر وخروجهم منها الى حلولهم فى شرق الاردن مذكورة بأساليب متنوعة فى أسفار الخروج والعدد وتشية الاشتراع من الأسفار الخمسة الاولى * والسفر الرابع وهو سفر الأحبار الذى هو تشريعى فى الدرجة الاولى متصل كذلك بهذه الحقبة *

ولقد ذكر الاصحاح الاول من سفر الخروج ما كان من نمو بنى اسرائيل وتكاثرهم وامتلاء الأرض منهم وخشية ملك مصر من عواقب ذلك واضطهادهم وتسخيرهم فى بناء مدن فيثوم ورعمسيس وتشغيلهم بالطين واللبن والأعمال الشاقة الأخرى ، وأمره لقابلى العبرانيات بقتل كل ذكر يولد لهم مما يتطابق بعضه مع ما قرئ على أوراق البردى التى أشرنا اليها قبل قليل *

والراجع أن حالة بنى اسرائيل تبدلت بعد تقويض حكمهم الهكسوس فى القرن السادس عشر وقيام الامبراطورية المصرية *

ويستدل من أوراق البردى المذكورة أن تسخيرهم واضطهادهم قد بلغ الذروة في عهد رمسيس الثانى أعظم ملوك الأسرة التاسعة عشرة التى حكمت حسب تقدير بريستيد (١) من سنة ١٤٦٢ الى ١٢٨٨ ق م وحسب تقدير شاروييم (٢) من سنة ١٤٦٢ الى سنة ١٢٨٨ ق م.

وهناك قرائن قد تدل على أنه كان لبنى اسرائيل اثر ما فى الانقلاب الدينى الذى قام به أمونحتب الرابع او أخناتون أحد ملوك الامبراطورية أو الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ - ١٣٥٠ ق م (٣)) او (١٧٠٣ - ١٤٦٢ ق م) (٤) فقد هدف أخناتون فى انقلابه الى عبادة ما وراء الشمس وتقرير الوحدة الالهية • وسعى معبوده آتون الذى يظن أنه مقتبس من اسم أدون او أدوناي العبرانى الذى كان العبرانيون يسمون به الرب • ويقول أحمد كمال (٥) الذى ذكر هذا : ان من المحتمل أن يكون انقلاب أخناتون متأثرا بأمة تايى التى هى من أهل الشمال مما يحتمل أن تكون عبرانية •

وفى الاصحاحات الثانى الى الثانى عشر من السفر نفسه

(١) تاريخ مصر من أقدم المصور ص ٤٠٦ •

(٢) الكافى ج ١ •

(٣) تاريخ مصر من أقدم المصور بريستيد ص ٤٠٦ •

(٤) الكافى لشاروييم ج ١ •

(٥) المقدم الثمين لأحمد كمال ص ٩١-٩٢ •

قصة موسى منذ ولادته الى خروج بنى اسرائيل من مصر بقيادته •
والسياق طويل لا ضرورة لسرده نسا •

وقد احتوى خبر ولادة موسى والقائه باليم خوفا من قتله
والتقاطه من قبل بنت فرعون وتربيته في بيت الملك وقتله مصريا
اعتدى على عبراني وفراره الى مدين واستائه غنم بنات كاهنها
وزواجه من صفورة احدى البنات واقامته في مدين الى أن هلك
الملك الذي وقع حادث قتل المصرى في عهده ، وتجلّى الله له في
جبل حوريب وقوله له : انه نظر الى مذلة شعبه ونزل الى اتقاذهم
واخراجهم الى الأرض الطيبة التى تدر لبنا وعسلا ، وهى أرض
الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين،
وأمره بالذهاب الى مصر وطلب اطلاق الشعب من فرعون
وانقلاب العصا فى يده الى حية وابيضاض يده كمعجزة ربانية
لتأييد رسالته ، وتعزيزه بهارون لفصاحة لسانه بسبب ما أبداه
من تخوف ، وعودته الى مصر ولقائه بهارون وشيوخ بنى
اسرائيل واخبارهم بما رآه وسمعه وانتشار ذلك وتأثيره على
عمال بنى اسرائيل الذين كانوا مسخرين فى أعمال الطين والبناء
ومقابلة هارون وموسى لفرعون وما كان من أخذ ورد معه وما
أظهره الله من معجزات العصا ومزعجات الدم والخفادع والبعوض
والذباب والوباء والظلام • وكان فرعون كلما ظهرت معجزة
او مزعجة وأخفق السحرة فى التغلب عليها طلب الشفاعة من

موسى وبذل الوعد بالاطلاق فاذا ما انكفت عاد وقسا قلبه الى أن كملت اثنتى عشرة معجزة واضطر فرعون الى البر بوعده فى النهاية • وحينئذ أمر الرب الشعب باستعارة أمتعة وفضة وذهب من جيرانهم لينصرفوا بها وتكون لهم غنيمة وسلبا •

وفى الاصحاحين الثالث عشر والرابع عشر تكملة للسياق جاء فيها أن الرب تحسب من ندم الشعب من الخروج ومن ندم فرعون من الاطلاق فأمر موسى بتغيير خطة السير بعد أن حلوا فى مدينة رعسيس ليثيروا ملك مصر وأهلها فيلحقوا بهم فيغرقوا وقد تم ذلك وشق الرب البحر فعبه بنو اسرائيل وتبعهم فرعون وجنوده فارتد عليهم وابتلعهم •

ولا شك فى أن السياق الطويل قد اختلط بكثير من الخيال والعلو وتأثر بسيرة بنى اسرائيل بعد خروجهم وطروئهم على أرض كنعان ؛ ولكن هذا لا يمنع من أن يكون فيه حقائق تاريخية مما كان بين فرعون وموسى وبنى اسرائيل ومن خروج بنى اسرائيل فى النهاية من مصر بقيادة موسى •

ويلفت النظر خاصة الى خبر سلب رجال ونساء بنى اسرائيل أمتعة جيرانهم الذهبية والفضية بحالة الاستعارة ونسبة ذلك الى الله تعالى وتنزه • ومهما كان من أمر فإن تسجيل هذا الخبر بهذا الأسلوب يدل على ما كان وظل يتحكم فى نفوس بنى اسرائيل من فكرة استحلال أموال الغير وسلبها

بأية وسيلة ولو لم تكن حالة حرب ودفاع عن النفس كما أنه كان ذا أثر شديد بدون ريب في رسوخ هذا الخلق العجيب في ذرايعهم ثم من دخل في دينهم من غير جنسهم *
ويخمن الباحثون أن بني إسرائيل خرجوا من مصر في القرن الثالث * وهذا التخمين يتسق مع سير أحداثهم وأحداث مصر أيضا ولا سيما إذا حدد بأواخر هذا القرن * فالمستفاد من تاريخ مصر أن حالة الدولة بعد رمسيس الثاني - الذي سجلت في عهده أوراق البردي التي تشير إلى تسخير العبرانيين في أعمال بناء مشاريعه والذي كان نفوذ مصر في عهده شاملا الأنحاء الجنوبية من بلاد الشام ومن جملتها شرق الأردن وغربه نتيجة لما كان بينه وبين الحيثيين من اتفاقية - قد ارتكبت بسبب ما كان من تنافس بين خلفائه على العرش وأن هذا الارتباك أوهن قواها ومنح الفرصة للوبيين وسكان الأرخييل اليوناني لازعاج مصر بغاراتهم وبلاد أئيويا والشام التي كانت تحت نفوذهم وسيادتهم للتمرد ثم أودى بالأسرة المالكة نفسها في أول القرن الثاني عشر حيث انتزعت الحكم منها أسرة جديدة هي الأسرة العشرون التي حكمت من سنة ١٢٠٠ إلى سنة ١٠٩٠ ق م (١) *

(١) انظر تاريخ مصر من أقدم العصور بريستيد من ٢٦٧ وما بعدها والعقد
الشمي من ١٦-١٢٧.

فالمبتادر أن هذا الارتباك الذى ألم ببصر قد يسر لبني إسرائيل الخروج من مصر أولا والحركة بشيء من الحرية فى شرق الأردن وغربه ثانيا . ولا سيما أن الارتباك لم يلبث أن ألم بالدولة فى عهد الأسرة العشرين أيضا حيث تعاظم سلطان الكهان وأخذوا يتدخلون فى شؤون الدولة . وحيث قامت الثورات فى أنحاء عديدة من الامبراطورية . وحيث أخذ اللوييون وغيرهم يجددون غاراتهم على مصر (١) .

ويتراوح التخمين بين أن يكون خروجهم فى عهد منفاح الأول أو الثانى من ملوك الأسرة التاسعة عشرة . ولقد كان الارتباك والضعف أشد فى عهد الثانى حيث يسوغ ترجيح الخروج فى عهده وهو ما ذكره بعض المؤرخين (٢) .

ولقد جاء فى الجزء الأول من الكافى لشاروييم (٣) أن بنى إسرائيل قد خرجوا من مصر فى عهد منفاح الثانى فى ظروف ارتباك الدولة المصرية وأن يوسينوس اليهودى نقل ذلك عن مانيثون ، وأن منفاح الثانى سأل أحد المكاشفين أن تتجلى له المعبودات فقال له : لن يكون له ذلك حتى يظهر بلاده من

(١) العقد الثمين من ١٢٥-١٤٩ وكتاب بريستيد المذكور أنفا من ٢٢١ وما بعدها .

(٢) العقد الثمين من ١١٧-١٢٢ وبريستيد من ١٦٧ وما بعدها والكافى لشاروييم ج ١ من ٨١ وما بعدها .

(٣) من ٩٠-٩٨ .

أصحاب الدناسة وكان يعنى الاسرائيليين ، فجمعهم فى مدينة
وشدد عليهم الخناق والعذاب وفى هذه الاثناء ظهر موسى
واتتهى الأمر بخروجهم تحت قيادته ، ومسا جاء فيه كذلك أن
الاسرائيليين ثاروا ثورة عاتية فزحف عليهم منفتح وقتل منهم
مقتلة كبرى ففروا فطاردهم الى أن خرجوا من مصر • والمؤلف
يعتمد فيما يورده على المدونات اليونانية القديمة التى تعتمد
بدورها على مانيثون المؤرخ المصرى الذى عاش فى القرن
الثالث قبل الميلاد وكتب تاريخا شاملا للملك مصر وسيرتهم •

ولقد قرئت على عمارة فى طيبة أنشأها منفتح الأول أنشودة
ذكر فيها تنكيله بنى اسرائيل فى جملة ما نكل بهم من سكان
فلسطين بسبب ثورة ثاروها ضد السلطان المصرى • ولقد قال
بريستيد (١) انه لما زاد الضغط على بنى اسرائيل فى الاعمال
البنائية التى كانوا مسخرين لها فى عهد رمسيس الثانى هربت
احدى قبائلهم تخلصا من العذاب ، وهذا ما قد يسوغ القول
ان بنى اسرائيل خرجوا من مصر على دفعتين ، دفعة صغرى فى
عهد رمسيس الثانى أو ابنه ودفعة كبرى فى عهد منفتح الاول
أو الثانى - والثانى هو المرجح كما ذكرنا قبل - وهى التى

(١) تاريخ مصر من اقدم العصور من ٣٠٠-٢١٤ •

خرجت بقيادة موسى والمتبادر أن الدفعة الأولى دخلت الى فلسطين وعاشت مع سكانها الأولين سليا كما فعلت أسرة ابراهيم .

والأنشودة المار ذكرها دليل أثري وقطعى على تسمية بنى اسرائيل باسمهم ، هذا قبل تدوين سفر التكوين الذى يذكر أن يعقوب سمى باسرائيل فكان ذلك أصل تسمية ذريته بنى اسرائيل .

هذا ، وهناك من ينكر خبر نزوح يعقوب وأبنائه الى مصر وبالتبعية خبر خروج بنى اسرائيل منها . غير أن أوراق البردى المحفوظة فى متحف لايد والتي يتطابق فحواها مع ما جاء فى الاصحاح الأول من سفر الخروج حيث ذكر هذا وتلك : تسخين بنى اسرائيل فى أعمال البناء والطين ، وتؤيد بالتالى وجود بنى اسرائيل - العبريو - فى مصر فى عهد رمسيس الثانى كما يؤيده ويؤيد خروجهم من مصر واقع طروئهم على شرق الأردن وغربه من ناحية حدود مصر واقعا متسلسل الأحداث والذكر مما لا سبيل الى المراء فيه فيما نرى .

ولقد ذكر الاصحاح الأول من سفر العدد أن موسى أحصى بنى اسرائيل عند خروجهم من مصر فبلغ عدد الذكور الذين هم فى سن العشرين فما فوق (٦٠٣٥٠٠) عدا اللاوين الذين بلغ عدد ذكورهم (٢٢٠٠٠) وهذا يعنى أن عدد بنى اسرائيل حين

خروجهم بقيادة موسى كان نحو مليون ونصف • وهذا كما هو المتبادر من المبالغات التي اختلط فيها الخيال مع الروايات والذكريات • ويلحظ أن اللاويين ذكروا لحدثهم • وفي الاصحاح نفسه تفسير لذلك حيث ذكر أن الرب أمر موسى بعدم عدهم في جملة بنى اسرائيل ، وبجعلهم موكلين بسكن الشهادة - خيمة المعبد - وأمتعته وكل متعلقاته فيحصلونه في الترحال وينصبونه في الحل ويخدمونه وينزلون حوله ويحرسونه وكل أجنبي تقدم يقتل • وموسى وهارون من بنى لاوى • وهكذا تكون مهمة الكهنوت والخدمة الدينية قد حصرت في سبطهما • ولم يجعل للاويين نصيب في توزيع الأرض المفتوحة لأنشغالهم بالخدمة الدينية ولكن جعل لهم موارد دينية متنوعة على ما تفيده نبذة عديدة في أسفار العدد وتشية الاشتراع •

- ٢ -

ونعود الى السياق فنقول ان الاصحاحات الخامس عشر الى الحادى والثلاثين من سفر الخروج سجلت مراحل بنى اسرائيل الى بركة سيناء وما جرى لهم فيها • وقد ارتحلوا من بحر القلزم الى بركة شور ثم الى ايليم التي كان فيها اثنتا عشرة عيناً

ماء ثم الى بركة سين ثم الى رفيديم ثم الى بركة سيناء حيث أقاموا
ردحا من الزمن *

وقد حكى الاصحاح السادس عشر تدمير بنى اسرائيل على
موسى وهارون وقولهم لهما : ليتنا متنا في مصر حيث كنا نشبع
من الطعام وسؤالهم لهما عما اذا كانا قد أتوا بهم الى هذه البركة
ليقتلوهم من الجوع — وأمثال هذا الموقف التدمري كثيرة في
أبان رحلتهم من مصر الى شرق الاردن حيث يدل ذلك على
ضعف مقاومتهم وروحهم التعجيزية وانزال المن والسلوى طعاما
لهم ، وقد وصف الأول بأنه ندى سماوى أبيض يتجمد وبعدو
مثل بذر الكزبرة وطعمه كقطائف بعسل والثاني بأنه طر فكان
هذا طعامهم اربعين سنة الى أن وافوا حدود أرض كنعان ،
وحكى الاصحاح السابع عشر خبر مجيء العمالة لمحاربتهم في
رفيديم وهزيمة هؤلاء بمعجزة ربانية ، وكان هذا أول بادرة
عدائية واجهها بنو اسرائيل من سكان البلاد ثم تكررت من
مختلف الأرومات في مختلف الظروف وبدون أى شذوذ
حيث يدل ذلك على أن أهل البلاد جميعا توجسوا الشر والخطر
من قدوم بنى اسرائيل ، مما له مغزى بعيد عجيب * وقد أثبتت
الوقائع صدق حدسهم لأن سيرتهم مع أهل البلاد كانت أسوأ
سيرة غدرا وعدوانا وشرها وقسوة وأنانية حتى الذين سلموهم
لم يسلموا من شرهم ** وحكى الاصحاح الثامن عشر قدوم

يشرو كاهن مدين وحمى موسى وتهنئة موسى بما صنع الله له وتمجيده حيث يدل هذا على أن الكاهن من الموحدين وهو في تقاليد المسلمين نبي الله شعيب ، وقد أسدى الى موسى النصيح باختباره رؤساء للشعب لينظروا في القضايا الثانية ويبقى هو المرجع الأعلى فاتبع موسى نصيحته •

وذكرت الاصحاحات التاسع عشر الى الحادى والثلاثين تجليات الرب لموسى في جبل سيناء وما القى اليه من وصايا وتشريعات دنية وتعبدية وخلقية ومدنية • من جملتها التوحيد المطلق وعبادة الله وحده والحظر البات لعبادة أى شىء غيره بأى شكل وعدم السجود لأى صورة مصورة أو منحوتة ، وعدم الحلف بالله باطلا وتحريم العمل فى السبت على الاسرائيلى وعبدته وأمنته وبهيئته ونزيله ، وتكريم الوالدين ، والنهى عن القتل والسرقة والزنا وشهادة الزور على القريب واشتهاء بيت القريب وامراته وعبدته وأمنته وثوره وحماره وعدم صنع أصنام أو مذابح من فضة وذهب والاكتفاء بمذابح ترابية وحجرية ، وإيجاب عتق أى عبد عبرانى بعد ست سنين من خدمته مع زوجته وأولاده ان كان له زوجة أو أولاد الا اذا فضل البقاء عبدا ، والرفق بالنساء والعدل بين الزوجات وعدم ظلم الغرباء والأرامل واليتام ، وعدم أخذ الربا من العبرانى ورد الرهون لأصحابها وعدم تحريف الشهادة وكسها وعدم التآمر مع المنافقين وعدم

الاجحاف في القضاء ضد المساكين ورد كل ضال من البهائم
 لصاحبه ولو كان عدوا وعدم أخذ الرشوة ومضايقة الغرباء وقتل
 القاتل وقتل ضارب والديه ولاعنهما وقتل من يخطف أحدا
 أو يبيعه وقصاص العين بالعين والسن بالسن واليد باليد والرجل
 بالرجل والكى بالكى والجرح بالجرح والرض بالرض وقتل
 من يذبح لإلهة أخرى أو يأتي بهيمة واسترداد المسروق من
 السارق بزيادة وهدر دم السارق اذا قتله صاحب المال الخ مما
 فيه كثير من مكارم الاخلاق الرفيعة والأنظمة التى تحصى المجتمع
 وتحفظ أمنه وتوطد التضامن والبر والاحسان فيه والتى ناقضتها
 معظم بنى اسرائيل وظلوا يناقضونها فى معظم حقب تاريخهم ،
 وتأثر بسيرتهم فى ذلك من اعتنق دياتهم من غيبين جنسهم ،
 ويتبادر لنا أن قيد القريب فى بعض المنهيات متأثر بما كان من
 موافقهم وأعمالهم مع غيرهم فيما بعد .

ولقد استغرق تعريف الطقوس والثياب الطقسية الكهنوتية
 والذبائح الطقسية وخيمة العبادة ورسومها وترتيبها سبعة
 اصحاحات طويلة من الخامس والعشرين الى الحادى والثلاثين
 وجاءت مسهبة اسهابا عجيبا فيه كثير من الجزئيات مما ترجح انه
 متأثر بما كانت عليه طقوس ومعابد ورسوم مصر الدينية أو
 بما تطورت اليه الطقوس فى بنى اسرائيل فيما بعد .
 وحكى الاصحاح الثانى والثلاثون تدمير بنى اسرائيل من

ابطاء موسى في النزول من الجبل مرة من المرات وطلبهم من هارون صنع آلهة لهم تسير أمامهم ، وتنفيذ هارون للطلب وصنعه من شنوف الذهب التي في آذان النساء والاولاد عجلا وبناؤه أمامه مذبحا وتقريبه القرابين له .. وهكذا لم يكذب يصف حبر وصايا الرب حتى بادر بنو اسرائيل الى تقضها مما كان ديدنا لهم في جميع تاريخهم . وأخبر الرب موسى بحيدان قومه عن الطريق التي أمرهم بسلوكها وسجودهم للعجل المسبوك ، وقال له انهم شعب قساة الرقاب فدعني أغضب عليهم وأفيهم . فتضرع موسى وطلب العفو فاستجاب الرب لضراعه - وهذا مما يمت الى فكرة الاختصاص الرباني لبنى اسرائيل التي نبهنا عليها قبل والتي كانت تدفعهم الى الانحرافات المرة بعد المرة - ورجع موسى ومعه لوحان منقوشان بمعجزة ربانية فيهما الوصايا . ولما وصل ورأى العجل والناس يغنون ويرقصون حوله اتقد غضبه وألقى اللوحين فانكسرا ثم أحرق العجل وذراه وهتف من كان للرب فليقبل الى فاجتمع اليه جميع بنى لاوى فأمرهم بلسان الرب أن يتقلد كل واحد سيفه وأن يقتل أخاه فنفذوا أمره وسقط من الشعب ثلاثة آلاف قتيل ، ثم صعد الى الجبل فناجى ربه معتذرا مستغفرا .

وحكى الاصحاح الرابع والثلاثون ان الرب قال لموسى افحت لوحى حجرين كالاولين فاكتب عليهما الكلام الذي كان على

اللوحيين اللذين كسرتهما واصعد الى جبل سيناء ففعل وهناك
 تاجى ربه الذى هبط فى الغمام واستغفره واستعطفه على
 الشعب فقبل الرب منه وقال له : انه بات معه عهدا ومؤيده
 بمعجزات عظيمة ، وانه طارد من بين يديه الأموريين والكنعانيين
 والحيتيين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، وحذره من ضرب
 أى عهد لأهل الأرض التى هو صائر اليها لئلا يكونوا فضا
 بين بنى اسرائيل ، ولئلا يفجروا فى اتباع آلهتهم ويذبحوا لها
 ويأكلوا من ذبائحهم ويأخذوا بناتهم لبنينهم فنفجر بناتهم فى
 اتباع آلهتهم ويجعلن ابناهم يفجروا كذلك ، مما هو مشوب
 بالخيال ومتأثر بروح الاختصاص وعقدته من جهة وبالوقائع التى
 وقعت مؤخرا فى أرض كنعان بعد موسى من جهة أخرى على ما
 هو المتبادر . وقد احتوى هذا الاصحاح والاصحاحات التالية
 له الى آخر الاصحاح الأربعين الذى هو آخر اصحاحات
 السفر وصايا وتعليمات متنوعة بحفظ أيام الفطير وتخصيص
 كل بكر ذكر من المواشى للرب وباحترام السبت وبشئون
 طقسية أخرى وهذه استغرقت الاصحاحات الستة التالية
 واحتوت تفصيلات جزئية كثيرة وعجيبة فى صنع تابوت العهد
 فى الصندوق الذى كانت تحفظ فيه الألواح والذخائر الدينية ،
 وخيمة العبادة التى تسميها الأسفار أحيانا بخباء المحضر ورسومها
 وأوانيها وأدواتها وتزييناتها وستاراتها وأعمدتها والثياب

الكهنوتية لهارون وبنيه ورسوهم وحدودهم مما هو متأثر - فيسا
يتبادر - بما كانت عليه الطقوس في مصر أو بما تطورت اليه
الطقوس في بني اسرائيل ، واحتوت كذلك تفصيلا للجهد والمال
والذهب والحرير المبذول في صنع ذلك واتسامه على النحو
المأمور به . .

- ٣ -

ويأتى بعد سفر الخروج سفر اللاويين أو الأخبار والاسم
الأول للنسخة البروتستانتية . وهو سبعة وعشرون اصحاحا في
تسع وأربعين صفحة . وهو سفر وصايا وتشريعات طقسية
ومدنية واجتماعية وخلقية . وفي أول كل اصحاح تقريبا ذكرت
عبارة تفيد أن الرب كلم موسى وأمره بإبلاغ ما في الاصحاح
لبني اسرائيل .

ولقد احتوى السفر تشريعات ووصايا وتفصيلات كثيرة عن
كفارات الذنوب والأخطاء والطقوس والثياب والأطعمة المحرمة
والأنكحة المحرمة والاعياد والنذور والطهارة والنجاسة والبرص
والسيلان حتى لكان السفر مخصص لهذه الشؤون لانها
استغرقت معظم اصحاحاته .

لقد أوجب على من يخطئ سهواً في حق الله ووصاياه أن
يأتى الى الكاهن معترفاً ومقدماً ذبيحة كفارة عن خطئه. وأوجب
مثل ذلك على كل من حلف كاذباً أو مس نجاسة أو جحد وديعة
أو غصب شيئاً أو وجد ضالة وجحدها مع رد ما أخذه .
وقد حرم أكل شحم البقر والضأن والمعز والميتة والدم
وذوات الاظفار غير المشقوقة من المجترات كالجلل والارنب
والخنزير وما ليس له زعانف وفلوس مسن حيوانات الانهار
والبحار والطيور الجارحة والحشرات والجراد والفأر والضبيب
والحرباء .

وقد قضى بنجاسة كل من مس ميتة أو كل من به سيلان أو
برص أو مسهما أو جلس مجلسهما أو مس أمتعهما وأوجب
عليه الاغتسال كما أوجب ذلك من الجناع في نفس اليوم .
وحرم نكاح الأم والأخت والبنت وبنت الابن وبنت البنت
وبنت الزوجة وبنت زوجة الأب والخالة والكنة وزوجة الأخ
واخت الزوجة ووطء الذكر والبهيمة ومضاجعة الطامث
وفيه نهى متكرر عن عبادة الاصنام وصنعها والشرك بالله
والتجديف عليه والقتل والسرقه والزنا وشهادة الزور والرشوة
والاجحاف والظلم والغصب وأخذ الربا من الاسرائيلى والبغاء
والتحايل والجور بالفقراء والضعفاء والغرباء وظلمهم ومحاباة
الأقوياء والعطاء والنميمة والبغض والحقد والتطير والتفاؤل

وحلق الرأس دائريا واحفاء العارض واتباع العرافين وأصحاب التوابع - الذين يزعمون أن لهم تابعين من الجن على ما هو المتبادر - والحلف الكاذب وشتيم الأصم ووضع العثرات في طريق الأعمى وهضم أجرة الأجير وتأخيرها عليه والوفاء بالوزن والكيل والمقياس •

وأوجب قتل من يذبح للافنام أو يقدم ابنه قربانا لمولك (١) ومن يميل الى أصحاب التوابع والعرافين ليفجر بذلك ومن يلعن أباه وأمه والزاني والزانية وواطئ البهيمة والمرأة التي تجعل البهيمة تنزو عليها وناكح المحرمات •

وأجاز السفر استرقاق الاسرائيلي لأخيه اذا رقت حاله وأراد أن يبيع نفسه على أن يعامله سيده برفق كاجير وعلى أن يكون له أو لقريبه حق فك رقبتة وفي هذه الحالة تحسب أجرة السنين التي قضاها من الشئ • وأجاز كذلك استرقاق الدخيل والغريب مع حقه أو حق قريبه في فكأكه كذلك •

وفي السفر تشريع سبت دورى كل سبع سنين وآخر كل خمسين سنة وهذا الأخير سمي يوبيلا • ففي كل سبع سنين تراح الأرض فلا تزرع • وفي كل خمسين سنة ينادى بعق كل رقبة ، ورد كل ملك لملكه ، وكل أرض لصاحبها وكل رقيق الى عشيرته حرا •

(١) مولك اله كنعاني كان يقرب له الابناء حرقا •

وفي الاصحاح التاسع عشر هذه العبارة « اذا نزل بكم غريب في أرضكم فلا تهضموه • وليكن عندكم الغريب الدخيل فيما بينكم كالصريح منكم وكنفسك تحبه لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر » •

وفي الاصحاح العشرين ايجاب بقتل أى كان من بنى اسرائيل أو الغرباء الدخلاء فيهم يعطى من نسله «ملوك» ثم يستمر الاصحاح في الأوامر والنواهي والعقوبات بصيغة مطلقة بحيث تبدو أنها شاملة للاسرائيليين والغرباء والدخلاء فيما بينهم ، هذا في حين أنه ليس في الأسفار شئ يدل على أن موسى أو بنى اسرائيل مأمورون بدعوة غيرهم الى دياتهم ، وان كل ما فيها منصب على كون الديانة اليهودية دياتهم الخاصة وكون الرب ربهم الخاص تنزه وتعالى • فالظاهر انهم كانوا يتساهلون فيقبلون اتسباب الغرباء والدخلاء الذين يعيشون بينهم الى دياتهم ويشملونهم بأحكامها ورسومها ، وليس ذلك دعوة ولا تبشيرا ، بحيث يقال ان الديانة اليهودية ليست تبشيرية ولا انسانية عامة مع أن ما انطوى فيها من تعاليم ومبادئ وخاصة توحيد الله وعبادته وحده بأسلوب صارم يجعلها جديرة بأن تكون ديانة ورسالة انسانية عامة وخالدة •

والمتبادر أن هذا قد أتى من عقدتهم النفسية التى نبهنا عليها حيث جعلتهم شديدي الأنانية والعزلة والكراهية بالنسبة للأمم

الأخرى وجعلتهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المقدس ويعتبرون جميع الشعوب دونهم وعبيدا لهم ويسجلون ذلك في أسفارهم ،
مما آثار ضدهم جميع الشعوب قديما وحديثا .
وإذا كانت طوائف من أمم أخرى اعتنقت الديانة اليهودية
مما هو ثابت يقينا في ظروف سببهم الى بابل وبعد عودتهم من
السبي ثم بعد جلائهم عن فلسطين بعد الميلاد فالمبتدأ أن ذلك كان
بسبب ما صاروا اليه من حالة وهن وتشتت . ولعله كان من قبيل
التساهل بقبول من أراد اعتناقها ممن كان مندمجا فيهم كدخلاء
أو غرباء أو لأجل تقوية أنفسهم بهم .

ولقد احتوى الاصحاح السادس والعشرون من السفر ترغيبا
وترهيبا شديدين لبنى اسرائيل في حالة اتباعهم هذه الوصايا
ومخالفتهم لها فقال لهم بلسان الرب : « ان جريتم على رسومي
وحفظتم وصاياي وعملتكم بها أتت غيوثكم في أوانها وأخرجت
الأرض غلالها وتأكلمون طعامكم شبعوا وتقيون في أرضكم آمنين
وألقي السلام في الأرض وأزِيل الوحوش الضارية منها فلا يكون
عليكم مزعج ولا يمر في أرضكم سيف وتطلبون أعداءكم
فيسقطون أمامكم بالسيف ويترد الخسة منكم المائة والمائة الربوة
وأنبيكم وأكثركم وأثبت عهدي لكم وأجعل مسكني فيما بينكم
ولا أخذكم وأكون لكم الها وتكونون لى شعبا . وان لم
تسمعوا لى وتعملوا بجميع هذه الوصايا ونبتتم رسومي ونقضتم

عهدي فاني أسلّط عليكم رعبا وسلا وحسى تفنى العينين وتتلف
 النفس وتزرعون باطلا فيأكله أعداؤكم وأجعل وجهي ضدكم
 فتتهزمون من وجود أعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم • ثم
 ان لم تطيعوني بعد هذا زدّكم تأديبا على خطاياكم سبعة أضعاف
 فأحطم شامخ عزكم وأجعل سباءكم كالحديد وأرضكم كالنحاس
 وتفرغ قواكم عبثا ولا تخرج أرضكم اتاءها ولا تثمر شجركم
 وان جريتم معي بالخلاف ولم تشاءوا أن تسعوا لي زدّكم
 سبعة أضعاف من الضربات على خطاياكم • وأطلقت عليكم وحش
 الصحراء فتشلكم وتهلك بهائمكم وتوحش طرقكم • وان لم
 تتأدّبوا بهذه وجريتم معي بالخلاف جريت أنا أيضا معكم
 بالخلاف وضربتكم سبعة أضعاف خطاياكم فأجلب عليكم سيفا
 منتقما نقمة العهد فتتجمعون الى مدنكم وأبعث الوباء فيما بينكم
 وتسلسون الى أيدي العدو واذا قطعت عنكم قوام الخبز تختبز
 عشر نساء الخبز في تنور واحد ويرددن خبزكم بالميزان وتأكلون
 ولا تشبعون • وان لم تخضعوا لي بذلك وجريتم معي بالخلاف
 جريت انا ايضا معكم بالخلاف ساخطا وادبتكم سبعة أضعاف على
 خطاياكم فتأكلون لحوم بنيكم وتقناتون بلحم بناتكم وأدك
 مشارفكم وأحطم تائبيل شموسكم والقي جثثكم على جثث
 أوثانكم وتكرهكم نفسي • وأجعل مدنكم قفرا ومقادسكم
 موحشة وأترك الأرض بلقعا فينذهل لها أعداؤكم الذين يسكنونها

وأبددكم فيما بين الأمم وأجرد وراءكم سيفاً فتصير أرضكم
 خراباً ومدنكم قفراً • حينئذ تستوفي الأرض سبوتها طول أيام
 وحشتها وأنتم في أرض أعدائكم • والباقون منكم ألقى الجبن في
 قلوبهم في أراضي أعدائهم حتى يهزمهم صوت ورقة متحركة
 فيهربون هربهم من السيف ويسقطون ولا طالب • ويعثر الواحد
 بأخيه كمن يهرب من أمام السيف ولا طالب • وتبادون بين الأمم
 وتأكلكم أرض أعدائكم • والباقون منكم ينقضون بذنوبهم
 في أراضي أعدائهم وبذنوب آبائهم أيضاً يضحلون • حتى
 يعترفوا بأثمهم وبآثام آبائهم في حياتهم التي خانوا إلى ، وفي
 سلوكهم معي بالخلاف فأسلك معهم أنا بالخلاف وأدخلهم أرض
 أعدائهم حتى تتذلل قلوبهم الغلف وحينئذ يكفون عن اسمهم فأذكر
 عهدي مع يعقوب واسحق وإبراهيم وأذكر الأرض وقد أخليت
 منهم واستوفت سبوتها في وحشتها وكفوا هم عن اسمهم • وإذا
 كانوا حينئذ في أرض أعدائهم لا أخذلهم ولا أكرههم بحيث
 أفنيهم وأفسخ عهدي معهم لأنني أنا الرب الههم بل أذكر لهم عهد
 الأولين الذين أخرجتهم من أرض مصر على عيون الأمم لأكون
 لهم الها أنا الرب » •

ويلمح في العبارات الأخيرة أثر ما نبهنا عليه من مزاعم
 الاختصاص التي أوجدت عقدة في بني إسرائيل من حيث كون
 الإله هو الههم وكونهم هم شعبه وأنه يشفق عليهم وينقذهم ،

أنسوا وانحرفوا وطفغوا وبغوا • كما يلسح فيها • وفي الاصحاحات
الأخرى أثر ما كان من سيرة بنى اسرائيل وأحداثهم في أرض
كنعان وما كان من انحرافاتهم وما أصابهم من نكال وتشريد
بسببها •

- ٤ -

يأتى بعد سفر الاحبار سفر العدد وهو ستة وثلاثون
اصحاحا في سبعين صفحة حسب الطبعة الكاثوليكية • وقد
احتوى سيرة بنى اسرائيل في برية سيناء وما بعدها استمرارا
لسيرتهم التى قصتها اصحاحات سفر الخروج • وفيه كثير من
التنظيقات والتشريعات الطقسية والكهوتية والاجتماعية والمدنية •
وفيه كثير من الغلو والخيال والمفارقات العجيبة التى امتزج فيها
الخيال بالذكريات كما يلسح فى كثير مما احتواه أثر الوقائع التى
تنبت لبنى اسرائيل بعد طروئهم على شرق الاردن وغربه ، على
أن الذى نرجحه ان محتوياته لا تخلو من حقيقة تاريخية أيضا •
وفى اصحاحه الاول احصاء لذكور بنى اسرائيل البالغين
عشرين فما فوق وأسماء رؤساء أسباطهم • وقد بلغت عددهم
٦٠٣٥٠٠ عدا اللاويين ، وفى اصحاحه الثانى ترتيب لمنازلهم حسب

أسباطهم في الحلّ والترحال وقد اعتبر جميع العدّ المذكور محارين وسمى رجال كل سبط بالجيش ، وفي اصحاحه الثالث والرابع احصاء الذكور اللاويين من ابن شهر فصاعدا واسماء رؤساء عشائهم وترتيب خدماتهم الدينية ومنزلهم حول الخباء وتخصيص الكهانة والتقديسات بهارون وبنيه . وقد بلغ عدد الذكور من ابن شهر فصاعدا ٢٢٠٠٠ وعدد أبناء الثلاثين فما فوق ١٧١٨٥ ، وفي اصحاحه الخامس أمر بنفى كل أبرص وكل من به سيلان وكل متنجس بس ميت الى خارج المحلة حتى لا يتنجس به بقية من في المحلة ، وايجاب على أى مذنب رجلا كان أو امرأة أن يعترف بذنبه ويكفر عنه ويرد ما دخل في يده من مال الآخرين بزيادة ، وفيه تشريع لخيانة الزوجة التي لا شهود عليها حيث يأخذها زوجها الى الكاهن فيجرى بعض الطقوس ثم يحلفها يمين اللعنة فيقول لها ان لم يضاجعك رجل ولم تنحازي الى نجاسة رجل غير بعلك فأنت بريئة من الماء المر الجالب للعنة والا فالرب يجعلك لعنة ويجعل وركك ساقطة وبطنك وارما ويكتب هذا اليمين ويمحى الكتابة بماء مر ويسقيه لها ويقول الاصحاح اذا كانت الزوجة آثمة فان الماء المر يدخل للبرارة فيرم بطنها وتسقط وركها وتكون لعنة بين شعبها والا فانها تبرأ منه وتحمل بنين !

وفي الاصحاحات من السادس الى العاشر تفصيل للاحتفال الذي أقامه موسى وبنو اسرائيل لنصب الخيأ والذبائح والتقدمات

والبخور والعطور التي قدمت وأحرقت فيه والخدمات التي قام بها هارون واللاويون ، وبيان في عيد الفصح ووقته وطقوسه . ويقول الاصحاح السابع ان موسى كان اذا دخل الخباء ليكلم الرب يسمع صوتا يخاطبه من فوق الغشاء الذي على تابوت الشهادة من بين الكروبيين - تماثيل الملائكة المجنحة - ويقول الاصحاح التاسع ان الغمام كان يغطي الخباء في النهار وكان منظره في الليل كمنظر نار ، وان بنى اسرائيل كانوا يرتحلون اذا ارتفع الغمام عن الخباء وينزلون اذا حل عليه فيقيمون في منزلهم الى أن يرتفع مهما طال حلوله . ويقول الاصحاح العاشر ان الرب أمر بصنع بوقين من الفضة ليجتمع بنو اسرائيل ويرحلوا وقيموا بالنفخ عليهما من قبل الكهان بنى هارون ، وان الرب جعل النفخ بالأبواق رسماً ابدياً لبنى اسرائيل فاذا خرجوا الى عدو وضايقتهم هتفوا فسارع الرب الى انتقاذهم ! وهذا الاصحاح ذكر أن بنى اسرائيل أخذوا يرتحلون من بركة سيناء في الشهر الثاني من السنة الثانية وكان سيرهم حسب ترتيبهم الذي رتبهم عليه موسى .

ويحكى الاصحاح الحادى عشر مسارعة بنى اسرائيل الى التذمر من مشقة الرحلة مما كان وظل يتكرر منهم ازاء كل مشقة ومما يدل على انعدام قوة المقاومة والصبر فيهم ، وسماع الرب تذمرهم واشتداد غضبه عليهم واشتعال نار الرب واحراقها بعض اطراف المحلة عقوبة لهم ، وصراخ الشعب الى موسى ودعاء هذا

لرب حتى خمدت النار • ولم يلبثوا أن عادوا الى التمر لحرمانهم من القناء والبطيخ والكراث والبصل والثوم واللحم والسمك واقتصار غذائهم على المن ، وجلسوا على أبواب أخيتهم ليكون ويندبون حظهم مما جعل غضب الرب يشتد من جديد بقوة وجعل موسى يستاء ثم يخاطب ربه قائلاً : لم ابتليت عبدك ووضعت أُنقال هذا الشعب على ؟ وهل أنا الذى ولدتهم حتى تقول لى : احملهم فى حجرى كما تحمل الحاضن الرضيع ، وانى لست طائفاً حمله وحدى لأنه ثقیل على والا فاقتلنى ولا أرى بلىتى • فأرسل الرب عليهم زحفاً من طير السلوى ذراعين على وجه الأرض وملء مسيرة يوم وبينما اللحم بين أسنانهم لم يبدأوا بمضغفة ضرب الرب الشعب من غضبه عليهم ضربة شديدة فسعى الموقع قبور الشهوة لأنهم دفنوا فيه القوم المشتبهين للاملعة الاخرى وتذمروا من أجلها •

وحكى الاصحاح الثانى عشر ثورة نفسية طريفة لهارون ومريم اخوى موسى على أخيهما بسبب زوجته الحبشية وقالوا : ترى هل الرب كلم موسى وحده ؟ وألم يكلمنا نحن أيضاً ؟ حيث تفيد العبارة أنه كان بينهما وبين الزوجة تشاد وتنافر ، وهكذا لم ينج أخو موسى وشريكه مع أخته من خلق التذمر والحسد والانانية على رأى الاصحاح • ويقول الاصحاح ان الرب نزل فى عمود غمام ووقف على باب الخيام ونادى هارون ومريم فقال

لهما اذا كان فيكم نبي فلا أخاطبه الا في رؤيا وحلم أما موسى فاني أخاطبه عيانا فما بالكما لم تهابا من التكلم في حقه ثم اشتد غضب الرب عليهما ومضى ، فما لبثت أن صارت مريم برصاء كالثلج فأخذ هارون يستعطف موسى فصرخ هذا داعيا بشفائها فقال الرب له لو أن اباهما بصق في وجهها أما كان يجب أن تستحي سبعة أيام وأمر بحجزها خارج المحلة سبعة أيام ثم برئت فرجعت الى المحلة .

وحكى الاصحاح الثالث عشر ان الشعب ارتحل بعد ذلك من حبرون ونزل في بركة فاران فأمر الرب موسى بارسال رجال يتجسسوا على أرض كنعان فاخترار رجلا من كل سبط وأرسلهم لمعرفة الأرض وسكانها وحالتهم فصعدوا واجتسوا الأرض من بركة صين الى رحوب (١) عند مدخل حماه ثم صعدوا من الجنوب ووافوا حبرون وكان هناك أحيماى وشيشاى وتلماى من بنى عناق (٢) وقطفوا زرجونة - غصنا - بعنقود واحد من العنب احتاج الى اثنين لحمله بعثلة مع شيء من التين والرمان ثم عادوا الى جماعتهم في قادش في بركة فاران وقالوا ان الأرض بالحقيقة

(١) قال مفسرو الأسفار ان رحوب كانت في أنحاء دان قريبة من منابع الأردن وأن تعبير مدخل حماه يقصد منه امتداد حدود مملكة حماه اليها . انظر مقال « في المبرانيين للدبس » ص ١٦٠ وفي الاصحاح الثالث من سفر التثنية سميت مملكة هوج ملك باشان التي يقوم منها اليوم مدينة بيشان باسم كورة ارحوب ولعلها هي فتكون مملكة حماه ممتدة الى حوران وتخوم مملكة بيسان والحالة هذه .
(٢) قد تفيد العبارة ان الاسماء هي أسماء عشائر من بنى عناق .

تدر لبنا وعسلا وهذا ثمرها ولكن الشعب فيها قسوى والمدن
 حصينة عظيمة جدا ورأينا بنى عناق العماقة وهم مقيمون بأرض
 الجنوب والحيشين واليوسيين والكنعانيين وهم مقيمون فى الجبل
 والكنعانيين وهم مقيمون عند البحر وعلى عسدة الأردن -
 والعبارة تفيد كما يبدو كثافة السكان وقوتهم وضخامة عمرانهم
 غرب الأردن - وقالوا لا تقدر على الصعود اليهم لأنهم أشدنا
 منا وهم أناس طوال القامة وقد صرنا فى عيوننا كالجراد وكذلك
 كنا فى عيونهم • وأخذوا يشنعون على الأرض بين بنى اسرائيل
 فرفع الجماعة أصواتهم وصرخوا وبكوا وتذمروا على موسى
 وهارون وقالوا لهما ياليتنا متنا فى أرض مصر أو فى البرية ولماذا
 أتى الرب بنا الى هذه الأرض حتى نسقط تحت السيف وتصير
 نساؤنا وأطفالنا غنيمة ، وأليس خيرا لنا ان نرجع الى مصر ؟ ثم
 قال بعضهم لبعض تعالوا نقيم لنا رئيسا ونرجع الى مصر • فتأثر
 موسى وهارون ووقعا على وجهيهما أمام الجهور وحاول كالب
 ويشوع وهما من الجواسيس الاثنى عشر أن يثا الشجاعة فى
 قلوب الناس فاتقد غضب الجهور عليهما حتى حاولوا رجهما
 بالحجارة • ويقول الاصحاح وحينئذ ظهر مجد الرب فى الخباء
 وخطب موسى قائلا : الى متى يستخف بى هؤلاء ولا يؤمنون
 بى مع جميع ما صنعتهم لهم من آيات ؟ وهأنذا سأضربهم
 بالوباء وأقرضهم ، الى كم أحتمل هذه الجماعة الشريرة المتذمرة

على ؟ فأخذ موسى يستعطف الرب ويصفه بطول الاناة والرافة
ويطلب الصفح عن الشعب حتى قال له قد صفحت كما طلبت ،
ولكن جميع الرجال الذين رأوا مجدى وجربونى عشر مرات ولم
يسمعوا لقولى لن يروا الأرض ثم أمرهم بالرحيل الى البرية
قائلا : فى هذا البر تسقط جثث كل المعدودين منهم عدا كالب
ويشوع أما الأطفال فهم الذين يرون الأرض ، وسيكونون رعاة
فى البرية أربعين سنة ويحصلون فجورهم الى أن تفنى أجسادهم
فيها • ولأوقن بجميع هذه الجباعة الشريرة المتجمعة على • وفى
البرية يموتون وينقرضون • ثم ضرب الرب الجواسيس العشرة
الذين أثاروا دعر الشعب فماتوا • ولما سمع الشعب كلام الرب
بكوا وناحوا واعترفوا بخطئهم وأرادوا أن يتقدموا فى السير نحو
أرض كنعان فنهاهم موسى وقال لهم لن يكون الرب معكم فلم
ينتهوا وأخذوا يصعدون الى الجبل فنزل العاقلة والكنعانيون
اليهم فضربوهم وحطبوهم وشردوهم الى حرمة •

واحتوى الاصحاح الخامس عشر تفصيلات فى صدد المذبح
والذبائح وايجابا على الذين ينزلون بين بنى اسرائيل من الغرباء
أن يفعلوا مثلهم فيها ، حيث يدل هذا على ايجاب تدين الغريب
الذى يكون عندهم بدينهم الزاما •

ومن الجدير بالذكر فى هذه المناسبة أنه ليس فى الأسفار ما
يوجب على بنى اسرائيل التبشير بدينهم ودعوة غيرهم اليه

الامثل هذا النص ومثل نص ورد في الاصحاح الثالث والعشرين من سفر تشية الاشتراع بهذه العبارة التي وردت بعد حظر دخول مرضوض الخصيتين والمحبوب — وهذا من الطرائف العجيبة التي لا يفهم لها حكمة — والعسولى والمؤابى فى جماعة الرب الى الأيد لأن العمونيين والمؤابيين لم يتلقوا بنى اسرائيل بالخبز والماء فى الطريق عند خروجهم من مصر » لا تكره الآدومى لأنه أخوك ولا تكره المصرى لأنك كنت نزيلا فى أرضه والجيل الثالث الذين يولدون لهم يدخلون فى جماعة الرب وهذا وذاك لا يوجبان على بنى اسرائيل مع ذلك دعوة كما هو واضح وكل ما فيهما السماح بالدخول فى جماعة الرب مع التحفظ ، والراجع أن الذين اعتنقوا اليهودية من غيرهم اعتنقوها من طريق هذه النصوص مع ما يلمح فيها من أثر واقع بنى اسرائيل وصلاتهم مع الآدوميين والمصريين فى ظرف من الظروف •

وقد أوجب الاصحاح قطع — قتل — أى اسرائيلى أو دخيل يزدرى بالرب ويستتهن بكلامه وينقض وصاياه • وحكى أن اسرائيليا احتطب فى هذه الاثناء فى يوم السبت فأمر الرب موسى بقتله رجما فرجم حتى مات •

وحكى الاصحاح السادس عشر خبر حركة ثورية أو تدمرية ضد موسى وهارون قادها شخص من اللاويين اسمه قورح واثنا من بنى راويين وانضم اليهم ٢٥٠ من رؤساء بنى اسرائيل ، حيث

ذهبوا الى موسى وهارون وقالوا لهما ما بالكما تترفعان على
 جماعة الرب - اللاويين - مع أنهم مقدسون والرب بينهم ؟ فلما
 سمع موسى ذلك سقط على وجهه ثم قال لهم غدا يعلن الرب من
 هو المقدس فيقربه اليه وطلب احضار مجامر وبخور لحرقة أمام
 الرب في الغد ، ثم قال لقورح اقليل عندكم يا بنى لاوى أن الرب
 قربكم اليه دون بنى اسرائيل وخصصكم لخدمة سكونه حتى
 تطلبوا الكهانة ايضا ؟ واستدعى الزعيمين الآخرين فلم يلبوا
 دعوته وقالوا لرسله يقولون له اقليل انك أخرجتنا من أرض تدر
 لبنا وعسلا لتقتلنا في البرية حتى تريد أن تترأس علينا أيضا ؟ ولم
 تدخلنا أرضا تدر لبنا وعسلا ولا أعطينا ميراث كرم وحقل . وفي
 الغد اجتمع الجماعة وحرقوا البخور فتجلى الرب وقال لموسى
 وهارون افرزا من الجماعة حتى أفنيهم فسقطا على وجهيهما
 وقالا : اللهم واحد يخطيء وتسخط على الجماعة كلها ، فأمر الرب
 أن تتباعد الجماعة عن مساكن الزعماء الثلاثة فتباعدت فلم تلبث
 الأرض ان انشقت وابتلعتهم بجميع مالهم وبيوتهم وأهلهم ثم
 خرجت نار من عند الرب فأكلت المائتين والخمسين الذين تضامنوا
 معهم . ثم ولد الاصحاب الكهانة وايقاذ البخور أمام الرب لنسل
 هارون فقط . وعاد بنو اسرائيل في الغد فشغبوا على موسى
 وهارون وقالوا لهما انكما قتلتما شعب الرب وهموا بالهجوم
 فالتجأ الى الخياء فاذا الغمام يغطيه والرب يتجلى فيه ويقول

لموسى وهارون انفرزا من الجماعة لأفنيهم فى لحظة فأمر موسى هارون بالاسراع فى ايقاد البخور للتكفير عن الجماعة ولكن لم يكذب فعل حتى بدأت ضربة الرب فى الشعب فمات منهم ١٤٧٠٠ وتقدم هارون بالبخور وكفر عن الشعب ووقف بين الأحياء والموتى فأنكفت الضربة .

وفى الاصحاحين السابع عشر والثامن عشر توطيد متنوع الأسلوب لمهمة الكهانة لهارون وبنيه مع توطيد خدمات المخبأ الأخرى للاويين ، واعلان لحرمان هارون وبنيه واللاويين من ارث الأرض وتخصيص العشر من كل شئ لهم مقابل خدماتهم الدينية .

وفى الاصحاح التاسع عشر تشريع بحفظ رماد بقرة بعد حرقها وخلطه بماء ينضح به كل متنجس حتى يطهر . وتشريع بنجاسة كل من لمس ميتا أو قتيلا أو قبرا أو عظم انسان سبعة أيام ونضحه بماء رماد البقرة حتى يطهر وايجاب قتل من لم يفعل ذلك اسراييليا كان أم دخيلا . وهو غريب وطريف . ويحتفل أن يكون هذا متأثرا بطقوس المصريين ومتصلا بقدسية العجل أبيض عندهم .

واحتوى الاصحاح العشرون خبر حلول بنى اسراييل فى برية سين أثناء تيههم وتذمرهم وشغبهم على موسى وهارون قائلين لهما متنا عند اخوتنا ولماذا أصعدتنا من مصر وجئنا بنا الى هذه

الأرض الخبيثة التى لا زرع فيها ولا شجر ولا ماء ؟ فقال لهم موسى : أتريدون أن أضرب الصخرة لأخرج لكم منها ماء فتجلى الرب وأمره بضربها بالعصا فتفجر منها الماء فعلا ثم قال لموسى وهارون بما أنكما لم تؤمنا بى ولم تقدسانى على عيسون بنى اسرائيل فأتما أيضا لا تدخلان الأرض التى أعطيتها للجماعة !

ثم حكى الاصحاح نفسه خبر ارسال موسى رسلا من قادش الى ملك أدوم يحكون له قصة خروج اسرائيل بعد العذاب والاضطهاد ويطلبون منه اذنا بالمرور من أرضه ويتعهدون له بالسير فى الطريق السلطاني دون الحيدان يمنا اويسرة أو الاضرار بحقل أو كرم الى أن يجوزوا تخمه ، فأبى وأنذرهم بالحرب ، ثم خرج عليهم بشعب عظيم ويد شديدة فتحولوا عن تخمه وداروا حوله بطريق جبل اسسه هور حيث مات هارون ودفن فيه . وقد ذكر الاصحاح الثانى من سفر التثنية الذى يأتى بعد سفر العدد هذا أن الرب أمر بنى اسرائيل بعدم مناصبة بنى عيسو المقيمين فى جبل سعير العداء فانه غير معطيهم من أرضهم شيئا ولو موطىء قدم لأنه وهبها لعيسو ميراثا ، وأنه أمرهم أن يدوروا حول تخمه اذا لم يؤذن لهم بالمرور من الأرض حيث يراد بذلك تعليل عدم الدخول فى أرض أدوم عنوة كما هو المتبادر . فقد جاء وقت غزا بنو اسرائيل بلاد أدوم فى عهد داود وسليمان وكانوا يفرضون

سلطانهم عليها فترة بعد فترة كما حاولوا ذلك بعدهما ناقضين وصية ربهم المزعومة •

ويستفاد من الاصحاح الثاني من سفر التثنية ايضا أن تحرك بنى اسرائيل نحو أدوم وشرق الاردن انما كان بعد أن فنى الرجال المعدودون الذين جبنوا عن التقدم وقضى عليهم بعدم دخول أرض كنعان وبالفناء بالبرية •

وحكى الاصحاح الحادى والعشرون من سفر العدد أن ملك عراد (١) الكنعانى سمع خبر مجيء بنى اسرائيل عن طريق آثارهم فخرج اليهم وقاتلهم وسبى منهم فدعا بنو اسرائيل لربهم فدفع اليهم الكنعانيين فأسلبوههم هم ومدنهم حسب عبارة الاصحاح ! ثم رحلوا من طريق بحر القلزم على ما حكاه الاصحاح نفسه ليدوروا حول أرض أدوم ولم يلبثوا أن عادوا الى تدميرهم على موسى قائلين له : لماذا أصعدتنا من مصر لنموت فى البرية ؟ فسلط الله عليهم الحيات فلدغت وأماتت منهم كثيرين فتضرع موسى للرب فكف عنهم الحيات وأمره بصنع حية نحاسية ورفعها على سارية فيبراً كل لديغ نظر اليها • وهذا أثر من آثار الطقوس المصرية وتعاويذهم على ما هو معلوم • ثم ارتحلوا بضع مراحل حتى نزلوا فى منزل يدعى باموت • ومن هنا أرسل موسى رسلا

(١) يقول مفسرو الاسفاد أن عراد فى منطقة الحجر العربية اى وادى موسى ١٥
انظر مقال فى المبرانيين للديس ص ١٦٤ ١٥

الى سيحون الأمورى ملك حشبون التى يقوم مكانها اليوم قرية
حسبان فى اللقاء فى شرق الأردن يطلب منه الاذن بالمرور من
أرضه فأبى وخرج مع جميع قومه للقاء بنى اسرائيل ومنعهم
واشتبك معهم فى حرب فى ياهص دارت فيها الدائرة عليه
فاستولوا على أرضه ومدنه من أرنون الى ييوق الى تخم بنى
عمون الذى كان منيعا على ما ذكره الاصحاب نفسه • وقد ذكر
الاصحاب الثانى من سفر التثنية أنهم قتلوا كل الرجال والنساء
والأطفال ولم يبقوا باقيا وأخذوا كل ما وجدوه من بهائم وأموال •
وبعد أن اقاموا ردحا فى المدن والأرض المفتوحة سعدوا فى طريق
باشان التى يقوم مقامها اليوم مدينة بيسان فخرج عليهم ملكها
عوج مع جميع قومه واشتبك معهم فى الحرب فى مكان اسمه
أذرعى - لعله مكان قرية اسمها زرعين اليوم بين بيسان ومرج
بنى عامر - وشجعهم الرب وقال لهم تصنعون به ما صنعتم
بسيحون فكتبت لهم الغلبة عليه فضربوه وقومه حتى لم يبق
له شريد وورثوا أرضه •

ونبه على أن هذه العبارة تكررت بعد هذا كثيرا ولكن
النصوص تفيد أنها لم تكن صادقة وأنه كان فى هذه المنطقة
وغيرها مما ذكرت الأسفار نفس العبارة عن سكان لم يقو بنو
اسرائيل على طردهم فبقوا حيث هم ، مما هو من مبالغات الأسفار
كما هو المتبادر •

ونقول استطرادا ان الاصحاح الثالث من سفر التثنية ذكر
 از عوج من الرفائيين وبالتالي من الأرومات العربية الأصل
 على ما رجحناه قبل ، وأن منطقة كانت تسمى كورة أرحوب وأن
 عدد مدنها التي استولى عليها بنو اسرائيل ستون وأنها كانت
 محصنة بأسوار شامخة وأبواب ومزاليح وكان يتبعها قرى كثيرة
 جدا حيث يدل هذا على ما كانت عليه هذه المنطقة من عمران
 وكثافة سكان .

ويحكي الاصحاح الثاني والعشرون خبر ارتحال بنى اسرائيل
 بعد ذلك ونزولهم في صحراء مؤاب التي عبر أردن أريحا ورأى
 بالاق بن صفور ملك مؤاب ما صنعه بنو اسرائيل في الأمور
 فإرسال وفدا الى بلعام بن يعور الذي كان يسكن مدينة اسمها
 فاتور على النهر لاستدعائه اليه لأجل لعن بنى اسرائيل الذين
 غطوا وجه الأرض ولطردهم من حدود مملكتهم . ثم يحكى
 الاصحاح والاصحاحان التاليان له ما كان بين بالاق وبلعام
 ومباركة بلعام لبنى اسرائيل بدلا من لعنتهم بأمر الرب في سياق
 طويل لا يخلو من خيال ومبالغة وان كان لا يخلو من حقيقة أيضا
 على ما نرجح .

ولم يقع بين بنى اسرائيل وبين المؤابيين والعمونيين صدام في
 هذه المرحلة وتعزو الاسفار ذلك أيضا الى وصية الرب حيث ورد
 الاصحاح الثاني من سفر التثنية أن الرب أمرهم بعدم مناصبتهم

العداء لأنه غير معطيهم شيئا من أرضهم ولا موطىء قدم لأنه وهبها ميراثا لبني لوط .

ولقد جاء وقت غزا فيه بنو اسرائيل هذه البلاد أيضا وحاولوا فرض سلطانهم عليها فترة بعد فترة ناقضين وصية ربهم المزعومة . والظاهر أن هذه البلاد وأهلها كانوا من القوة بحيث لم ير بنو اسرائيل لهم طاقة بهم في هذه المرحلة فتحرزوا من الاشتباك معهم . والوصبة لم تشمل مملكة سيحون الأمورى . وهـ - ح ذلك لم يحاولوا دخولها عنوة وطلبوا الاذن بمرورهم منها مرورا ، مما قد يؤيد ما قلناه .

وقد ينطوى في هذا دليل على مبالغة الأسفار في عدد المحاربين من بنى اسرائيل الذى قال الاصحاح الثانى من سفر العدد انه ستائة ألف وئيف ١

ويبدو من الحركات التى قام بها بنو اسرائيل بقيادة موسى في شرق الأردن أن الأرض التى منعوا منها أربعين سنة هى غرب الأردن وبالتالي فإن غرب الأردن فقط هى أرض كنعان التى كانوا وظلوا يزعمون أن الهب اعطاها لهم . .

ونعود الى السياق فنقول ان الاصحاح الخامس والعشرين من سفر العدد ذكر ان بنى اسرائيل أقاموا في شطيم التى يرجح أنها شطه اليوم في منطقة بيسان ، وأنهم أخذوا يفجرون مع بنات مؤاب وأن البنات دعونهم الى ذبائح آلهتهم فأكلوا منها وسجدوا

للآلهة وتعلقوا ببعل فاغور (١) ، وأن غضب الرب اشتد عليهم فأمر موسى القضاة - لعل المقصود النقباء - بقتل كل واحد تعلق بالبعل . وفي هذه الأثناء جاء اسرائيل ومعه بغى مدينية فقدمها لآخوته بينما كان بنو اسرائيل سيكون من غضب الرب فسارع فنجاس الكاهن وطعن الرجل والمرأة بالرمح فقتلها ومات بضربة ربانية من الشعب أربعة وعشرون الفا كما يذكر الاصحاح . وفي الاصحاح السادس والعشرين أمر رباني باحصاء بني اسرائيل من ابن العشرين فما فوق من الذكور فبلغوا كما يقول الاصحاح ٦١٧٧٣٠ ولم يكن بينهم من أحصوا في برية سيناء غير كالب ويوشع حيث ماتوا في البرية حسب وعيد الرب . والمبالغة في الرقم ظاهرة شأن رقم الاحصاء الأول .

وفي الاصحاح السابع والعشرين تشريع بانتقال ارث الآباء للبنات ان لم يكن لهم بنين ، بناء على شكاية ثلاث بنات في ذلك ثم تشريع بأن يكون ميراث الرجل الذي لم يخلف أولادا لآخوته فان لم يكن له اخوة فالأعمام فان لم يكن له أعمام فالأدنى قرابته من عشيرته . وقد حكى الاصحاح السادس والثلاثون مراجعة أهل البنات الثلاث لموسى وقولهم له : ان البنات قد يتزوجن من رجال من غير سبطهم فيذهب ارثهم لهم فأوجب موسى بأمر الرب أن يتزوج البنات وأمثالهن في سبطهن حتى لا يختل ميراث السبط

(١) الغالب ان اسم المدينة لأن العادة ان ينسب البعل الى المدن .

وفي الاصحاح السابع والعشرين اخطار رباني لموسى بقرب
أجله وطلب موسى من الرب تعيين وكيل لبنى اسرائيل
محله فيهم وتعيين يشوع بن نون ومباركة الكاهن له كتدشين
لرئاسته •

وفي الاصحاحات الثامن والعشرون والتاسع والعشرون
والثلاثون تشريعات طقسية متنوعة في الذبائح والنذور
من سردها ونرجح أنها متأثرة بما كان في مصر من طقوس مماثلة •
وحكى الاصحاح الثاني والثلاثون أمر الرب لموسى بالانتقام
من المدينين قبل أن يموت تنفيذا لوصية جاءت في آخر الاصحاح
الخامس والعشرون بضايقة المدينين وضربهم لأنهم ضايقوا بنى
اسرائيل باحتيالاتهم التي احتالوا بها عليهم في أمر بعل فغور
والمرأة البغي التي قتلها الكاهن •

وقال الاصحاح ان موسى انتدب من كل سبط ألف محارب
وسيرهم الى مدين ومعهم فنجاس الكاهن في يده أمتعة القدس
وأبواق الهتاف للبركة والاستتصار • فذهبوا وقاتلوا المدينين
وقتلوا كل ذكر مع خمسة ملوك لهم وهم أوى وراقم وصور
وحور ورابع كما قتلوا بلعام بن باعور - وهو العراف الذي
باركهم ولم يلعنهم خلافا لأمر بالاق ملك مؤاب - وسبوا النساء
والأطفال وغنموا جميع البهائم والمواشى والأثاث ، وأحرقوا جميع
المدن والمساكن والقصور وعادوا بالغنائم والسبي • وقد حكى

الاصحاح أن موسى سخط على رؤساء الجيش لأنهم استبقوا
الاناث كلهن وهن سبب الشر ثم أمر بقتل كل طفل ذكر وكل
أنثى ثيب من السبى واستبقاء الاناث الابكار الصغار والكبار
ففعلوا . وكانت الغنائم ٦٧٥٠٠٠ من الغنم و ٧٢٠٠٠ من البقر
و ٦١٠٠٠ من الحمير و ٣٢٠٠٠ من الأبكار . ووزع النصف على
المحاربين واثني عشر من المائة على حراس الخباء من اللاويين . و
حكاه الاصحاح أن رؤساء الجيش تقدموا الى موسى وقالوا انه
لم يفقد من رجال الحرب أحد وأنهم قرروا لذلك أن يقدموا ما
دخل ليد كل منهم من أدوات ذهبية تقديما وكفارة للرب فبلغ
وزن ذلك ١٦٧٥٠ مثقالا ذهبيا فأخذ موسى وأدخله في خزائن
الرب . أما ما دخل ليد المحاربين من ذهب فأبقاه لهم .

والعملية الانتقامية عجيبة ظالمة شديدة القسوة في أسبابها
وكيفيتها . وهذا النوع من العمليات قد تكرر في أرض كنعان في
عهد يشوع وما بعده على ما سوف نذكره بعد . ومن الجدير
 بالذكر في هذا المقام أن مدين كانت الملبأ الذي لجأ اليه موسى
 وكانت زوجته الأولى بنت كاهنها على ما ذكرناه قبل . وقد حكى
 بعض اصحابات سفر الخروج والعدد قدوم الكاهن على موسى
 وترحيبه به وببنى اسرائيل وسروره وشكره للرب بنجاتهم
 وخلصهم . ولم تحك الأسفار تبدل حالة الصداقة أو السلم الى
 حالة عداوة : والذريعة التي تذرع بها الى غزو المدينيين والنقتك

بهم وسلبهم وسبيهم وتدمير مدنهم بهذه القسوة العجيبة تافهة
 بجدا وفردية • ونحن ننزه الله عن الأمر بها ونعتبر نسبتها اليه
 من المآخذ التي تؤخذ على الأسفار ، وتدل على ما كان ينطوى في
 نفوس بنى اسرائيل من غل وحقد وشره ضد غيرهم ولو لم يكن
 بينهم حالة عداة بل ولو كانوا مسلمين لهم أو لهم يد سابقة عليهم
 والعدوان عليهم بكل قسوة في أى ظرف يتهيأ لهم فيه الامكان
 والمجال والقدرة • والتوصل الى ذلك بأتفه الوسائل • ولا شك
 أن نسبتها الى الله وتسجيلها كذلك ثم تسجيل سخط موسى على
 الرؤساء لاستبقائهم الأطفال والنساء - وهذا مما يزيد العملية
 قسوة وبشاعة - كان وما يزال شديد التأثير في تأصيل فكرة
 القسوة في بنى اسرائيل ضد الشعوب الأخرى - وفي قتلهم بلعام
 ابن يعورا مظهر آخر من مظاهر روحهم الجاحدة النادرة حيث
 أنستهم ما كان من مخالفته لأمر ملكه ومباركته لهم بدلا من
 لعنتهم • وفي تسجيل قتله تأصيل كذلك لروح الجحود والفساد
 فيهم ضد من يحسن اليهم • •

ومهما يكن من أمر فإن سياق القصة قد يدل على أن منطقة
 مدين كانت عامرة غنية وكان فيها مدن عديدة منها خمس كانت
 كراسى ملوك في هذا الظرف • وأسماءهم تحمل اللحة العربية
 القديمة وبالتالي تدل على أرومتهم العربية الأصل •
 ولقد ذكرت أسفار أخرى أن مدين انتعشت وقويت وكان

مكانها يزعمون بنى اسرائيل في عهد القضاة وبعده مع من كان يزعمهم من أهل الأرض حيث يدل هذا على المبالغة في تسجيل الابدادة وعلى تأصل العداء بينهم وبين بنى اسرائيل نتيجة لهذا العدوان العجيب الذى لا مبرر له .

وفى الاصحاح الثانى والثلاثين قصة تخصيص مملكتى حشبون وباشان التى فتحها بنو اسرائيل عنوة لسبطى راووبين وجاد ونصف سبط منسى حيث جاءوا الى موسى وطلبوا منه ذلك لأنهم كانوا أصحاب ماشية والأرض صالحة للماشية . وقبل منهم موسى وأوصى يوشع والكاهن بتحقيق طلبهم بعد أن تعهدوا بأن يساعدوا الأسباط الاخرى فى زحفها على غرب الأردن وفتحها البلاد .

واحتوى الاصحاح الثالث والثلاثون أسماء مراحل بنى اسرائيل منذ خروجهم من مصر الى أن نزلوا صحراء مؤاب مما لا ضرورة الى سرده ثم انتهى الاصحاح بأمر الرب لموسى بأن يقول لبنى اسرائيل انكم جائزون اردن الى أرض كنعان فتطردون جميع أهلها من وجهكم وتبيدون جميع منقوشاتها وأصنامها وتدون مشارفها وتملكونها وتقيمون فيها وتوزعونها بالقرعة على الأسباط التسعة والنصف حسب أعدادهم قلة وكثرة، وأنكم اذا لم تطردوا أهلها كان من تبقونه منهم كآبرة فى عيونكم وكحربة فى جنوبكم يضايقونكم فى الأرض التى تقيمون بها

فأصنع بكم ما نويت أن أصنع فيهم ما يلح فيه أثر الوقائع التي
جرت فعلا عند زحف بنى اسرائيل وروح القسوة المسيطرة عليهم
ضد الشعوب الاخرى ...

وفي الاصحاح الرابع والثلاثين تحديد لتخوم أرض كنعان
وأسماء عشرة رؤساء عينهم موسى باسم الرب لقسمتها وتوزيعها
على الأسباط التسعة والنصف ما هو متأثر كذلك بالوقائع التي
جرت معهم بعد زحفهم على غرب الأردن • وتغلبهم على مساحة
كبيرة منها وعلى سكانها •

وفي الاصحاح الخامس والثلاثين تشريع لعقوبة القتل ومدن
الملاجيء • وفيها أمر من الرب بتعيين ست مدن ، ثلاث في شرق
الأردن وثلاث في غربه لتكون ملاجئ ليهرب اليها القاتل من وجه
ولى القتل حتى يحاكم ويكون من حق الغريب والدخيل اللجوء
اليها كلالسرايلى • أما العقوبة التي يحكم بها القضاة فهي
الاعدام للقاتل اذا ضرب القتل بآلة حديدية أو حجر يد أو آلة
خشبية ما يقتل به أو دفعه أولقى عليه شيئا متعمدا ، أو ضربه
بيده عن عداوة • وللولى قتل القاتل ان صادفه واذا تبين أن
القتل وقع بغير عمد ولا عداوة فللمجاعة ان تساعد القاتل على
الهروب الى مدينة ملجأ ليقيم فيها حتى يموت الكاهن الأعظم
الذى وقع الجرم فى زمنه وحينئذ يرجع الى أرضه • واذا خرج
هذا القاتل من مدينة الملجأ قبل موت الكاهن وصادفه ولى القتل

قله أن يقتله ولا دم عليه • والقاتل يقتل بشهادة الشهود ،
 وشهادة الواحد لا تكفى لقتل المتهم • ولا تؤخذ دية عن نفس
 قاتل وجب عليه القتل ، ولا تؤخذ دية من قاتل ليهرب الى مدينة
 ملجأ ولا ليعود الى أرضه قبل موت الكاهن •
 وفي الاصحاح السادس والثلاثين وهو آخر اصحاحات سفر
 العدد تكملة لتشريع ارث البنات في الأرض وقد أوردنا خلاصتها
 قبل •

- ٤ -

ويأتى بعد سفر العدد سفر التثنية أو تثنية الاشتراع كما
 تسميه النسخة الكاثوليكية • وهو أربعة وثلاثون اصحاحا في
 ستين صفحة • ومعظمه حكاية لكلام موسى لبنى اسرائيل وعظا
 وتذكيرا أو ترغيبا وترهيبا • وفيه تكرار في سياق ذلك لكثير ما
 ورد في سفرى الخروج والعدد من وقائع بنى اسرائيل كما فيه
 كثير من التشريعات والوصايا الخلقية والمدنية والاجتماعية
 والطقسية والترغيبات والترهيبات والتنبؤات والتفريعات التى
 ذكرت في أسفار الخروج والعدد والاحبار كذلك ، وإن كان ما
 جاء فيه من ذلك قد جاء مختلفا بعض الاختلاف وبزيادة ونقص
 وتقديم وتأخير • ولعل تسمية السفر باسم التثنية هو بسبب

ما احتواء من هذه الشؤون التي ذكرت في الأسفار الثلاثة السابقة وجاءت فيه مكررة للمرة الثانية . وفيه هو الآخر كثير من الخيال والغلو والمفارقات .

وطابعه البارز ما هو منبث في كل اصحاحاته تقريبا من تشديد بالتزام وصايا الرب وعبادته وحظر الشرك به وصنع الأصنام والسجود لها وتنويه بما سوف يناله بنو اسرائيل من حظوة ونصر وهناء اذا التزموها وانذار شديد بما سوف يصيبهم من شر وهلاك اذا انحرفوا عنها .

والمرجح ان لم نقل من المحقق أن كاتبه غير كاتب الأسفار السابقة له . ويلمح فيه أثر حالة وسيرة بنى اسرائيل بعد طروئهم على غرب الأردن أيضا وما ارتكسوا فيه من انحرافات وأصايبهم من محن وشتات بحيث يسكن أن يقال انه دون أو أعيد تدوينه بعد السبي .

وسنكتفى باقتباس ما فيه من جديد او ما يجدر لفت النظر اليه منه .

ولقد احتوت الاصحاحات الثلاثة الأولى خلاصة لما كان من سيرة بنى اسرائيل في البرية وما جرى لهم منذ اتجاههم نحو شرق الأردن الى أن استولوا على مملكتي حشبون وباشان مما أوردناه قبل اقتباسا من سفر العدد . وأسلوب الاصحاحات الثلاثة أسلوب تذكيري ووعظي وتنديدي معا . وعبارتها تفيده

أن حركة موسى نبي اسرائيل واتجاهه نحو شرق الاردن قد كان بعد انقضاء مدة الاربعين سنة التى قضى عليهم بأن يعيشوها فى البرية حتى يفنى رجالهم المعدودون الذين جبنوا وذعروا من وصف سكان أرض كنعان وقوتهم .

وفى الاصحاح الرابع بعض الأوامر المكررة بوجوب حفظ وصايا الرب وأحكامه وخاصة عدم الاشراك به وصنع التماثيل لأى شئ والسجود لها وهذه الوصية هى الوصية الجوهرية التى تتركز وصايا وتشديدات السفر فيها بل وفى كل سفر هذه العبارة « فاحذروا أنفسكم من أن تنسوا عهد الرب فتصنعوا لكم تماثلاً منحوتاً لانه اله غيور . واذا ولدتم بنين وبنى بنين وتعتقتهم فى الأرض ففسدتهم وفعلتم الشر وحملتكم تماثلاً منحوتاً بشئ ما وفعلتم الشر فى عين الرب وأسخطتموه فانى منذ اليوم أشهد عليكم السوء والأرض بأنكم تبيدون سريعاً من على الأرض التى أنتم عابرون اليها ويشتتكم الرب فيما بين الشعوب حتى تبقوا جماعة معدودة بين الأمم وتعبدون هناك آلهة صنعة أيدي بشر من خشب وحجر . حيث يلمح فى العبارة أثر واقع بنى اسرائيل وسيرتهم بعد دخولهم أرض كنعان وما كان من إجلالهم عنها . ولقد ورد بعد هذا ، هذه العبارة « وتطلب من ثم الرب الهك فتجده اذا التمسته بكل قلبك وكل نفسك . واذا ضيق عليك وأصابتك هذه الأمور كلها فى آخر الايام ترجع

وازدهار قبل طروء بنى اسرائيل وهما اللذان عاشوا عليهما
دون جهد وتعبد .

وفي الاصحاح السابع فى سياق تشجيع بنى اسرائيل وتأميلهم
بنصر الله اذا هم حفظوا وصاياه بيان للخطة التى يجب أن يسلكها
بنو اسرائيل مع أهل البلاد - أرض كنعان - بهذه العبارة
« اذا أدخلك الرب الهك الأرض التى أنت صائر اليها لترثها
واستأصل امما كثيرة من أمام وجهك الحيثيين والجرجاشيين
والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع
أمم أعظم وأكثر منك وأسلسهم الرب الهك وضربهم فأبسلهم
ابسالا - بمعنى الابداء والافناء - لا تقطع معهم عهدا ولا تأخذك
بهم رافة ولا تصاهرهم . ابنتك لا تعطها لابنه ، وابنته لا تأخذها
لابنك . لأنه يغوى ابنك عن اتباعى فيعبد آلهة أخرى فيشتد
غضب الرب عليكم ويبيدكم سريعا بل تنقضون مذابحهم
وتكسرون أصنامهم وتقطعون غاباتهم وتحرقون تماثيلهم بالنار .
لأنك شعب مقدس للرب الهك . واياك اصطفى أن تكون له أمة
خاصة من جميع الأمم التى على وجه الأرض » .

والخطة توجيه نحو العدوان المباشر الهادف الى ابادة السكان
فى غرب الأردن والحلول محلهم بذريعة أنهم مشركون دون
اعذار ولا انذار ولا دعوة الى سلم وتوحيد مما لم يكند التاريخ
يسجل مثيلها فى الوحشية والقسوة والشمول تعالى الله وتنزه

الى الرب الهك وتسبح لصوته لأن الرب الهك رحوم لا يخذلك ولا يببدا» حيث يبدو فيها ذلك الاثر أيضا مع ما فيها من أثر الفكرة الاختصاصية التي تأصلت في بنى اسرائيل من كون الههم يسرع الى تأييدهم ولا يقسو عليهم كل القسوة والتي كانت من اسباب ومظاهر عقدهم النفسية *

وفي الاصحاحين الخامس والسادس بالاضافة الى الانذار والتذكير تكرار الوصايا التي ذكرت في سفر الخروج والتي تعرف بالوصايا العشر او الكلمات العشر ، وهى النهى عن الشرك بالله وعبادة غيره وصنع الأصنام والسجود لها ، وعن القتل والزنا والسرقة وشهادة الزور واشتهاء زوجة القريب وجمع ماله والأمر بحفظ السبت وتكريم الوالدين ، وأمر بكتابتها على عقائد الابواب وجعلها عصائب بين العينين وعقدها علامة على الأيدي وذكرها دائما وتحفيظها للابناء *

وفي الاصحاح السادس وصف لأرض كنعان فى سياق التشديد بالتزام الوصايا والتذكير بعناية الله وتأنيده بنى اسرائيل جاء فيه : « مدن عظيمة حسنة لم تبناها ويوت مملوءة كل خير لم تملأها وصهاريج محفورة لم تحفرها وكروما وزيتونا لم تفرسها » حيث ينطوى فى الوصف تنويه بما كانت عليه أرض كنعان — أى غرب الأردن الذى كان المقصود الرئيسى بها — من عمران

عنها • والراجع أن تسجيلها متأثر بواقع العدوان الاسرائيلي على أرض كنعان وتنفيذه الفعلي لها على ما سوف نشرحه بعد ، كما أن فكرة الاختصاص التي كانت أقوى مظاهر ما انبثق في نفوس اسرائيل من عقد بارزة في هذا التسجيل وخاصة في الجملة الأخيرة التي سجلها كاتب السفر كسبرر كاف لهذا العدوان •

وإذا كان الاصحاب العشرون من السفر نفسه احتوى أمرا لبني اسرائيل بدعوة المدينة التي يتقدمون الى قتالها الى السلم أولا فإن هذا محصور بالمدن البعيدة جدا دون مدن أرض كنعان أولا ، وليست دعوة الى سلم وسلام وتوحيد لأنها تأمر باستعباد جميع شعب المدينة التي توافق على الاستسلام ، كما ترى في هذا النص الرهيب الذي يجعل الخطة أنهم صورة وأوسع شمولاً » وإذا تقدمت الى مدينة لتقاتلها فادعها أولا الى السلم فإذا أجابتك وفتحت لك فجميع الشعب فيها يكونون لك تحت الجزية ويتعبدون لك وإن لم تسألك بل حاربك في صرتها وأسلمها الرب الى يدك فاضرب كل ذكر بحد السيف • وأما النساء والأطفال وذوات الأربع وجميع ما في المدينة ، فتكون غنيمة لك أعطاها الرب • هكذا تصنع بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن أولئك الامم هنا • وأما مدن أولئك الامم التي يعطيها لك الرب ميراثا فلا تستبق منها نسمة • بل أبسلهم ابسالاً الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين

كما أمرك الرب الهك - تعالى الله عن ذلك - كيلا يعلموكم أن تصنعوا مثل رجاساتهم فتخطئوا الى الرب الهكم» •

ولقد سمي الاصحاح الخامس والعشرون من هذا السفر أهل أرض كنعان بالاعداء ، والمفروض ان التسمية كانت قبل طرء بنى اسرائيل على هذه الأرض مع أنه لم يكن بينهم وبين سكانها أى عداة سابق ولم يكن من هؤلاء أى موقف عدوانى أو مناوئ سابق ، بل وكان بين الأجداد السابقين لكل منهم صلات ودية وحلفية على ما ذكره سفر التكوين مما يقوى صورة العدوان القاسى المتمثلة فى هذه الخطة الرهيبة التى كان كل هدفها اقتلاع أهل هذه الأرض من جذورهم وابادتهم والحلول محلهم دون ما شفقة ولا رحمة بصغير وشيخ وامرأة بغيا وافتئاتا ، تعالى الله وتنزه عنها . وقد تكون الخطة أو تسجيلها متأثرا بما كان من واقع سيرة بنى اسرائيل بعد طرؤهم على غرب الأردن ولكنها على كل حال مظهر لما كان يعتزل فى نفوسهم من غل وحقد نتيجة لحياة الاضطهاد التى عاشوها فى مصر ثم لأنانيتهم وغشدهم النفسية التى جعلتهم يعتبرون هذه البلاد لهم وحدهم ويررون لأنفسهم اباداة أهلها بدون رافة ولا رحمة •

وفى الاصحاح الثامن وصف آخر لأرض كنعان فى سياق تكرار الأوامر بحفظ وصايا الرب بهذه العبارة القوية : « ان الرب الهك يدخلك أرضا صالحة ذات أنهار وعيون تتفجر فى

غورها ونجدها ، أرض حنطة وشعير وكرم وثين ورمان • أرض زيت وعسل • أرضا لا تأكل خبزك فيها بتقير ولا يعوزك فيها شيء • أرضا حجارتها الحديد ومن جبالها تقطع النحاس » •

وفي الاصحاح التاسع تنويه آخر ببدن أرض كنعان وأممها في سياق ذكر تهيؤ بني اسرائيل للعبور اليها وتشجيعهم ووعدهم بالنصر ونهيهم عن الخوف والجبين بهذه العبارة « انك جائز الأردن لتدخل وتسلك أما أكثر وأعظم منك ، ومدنا عظيمة ومحصنة للسماء ، وشعبا عظاما طوالا بني عناق الذين عرفتهم » وفي الاصحاح تنبيه لبني اسرائيل أن الرب انما يعطيهم الأرض وفاء بقوله وقسمه لأبائهم وليس لبرهم واستقامتهم وتذكير بما كان من انحرافاتهم وتذكير بما كان من انحرافاتهم وموافقهم التمردية في البرية ، مما ينطوي فيه أو في تسجيله الذي كان متأخرا فكرة الاختصاص الرباني لبني اسرائيل بقطع النظر عن استقامتهم وانحرافهم وكون ذلك أساسا من أسس حياتهم •

وفي الاصحاح الثالث عشر تحذير من الأنبياء والرئين اذا دعوا الى آلهة غريبة وايجاب قتلهم ولو ظهر على أيديهم معجزات مما هو الآخر متأثر بواقع بني اسرائيل بعد طروئهم على أرض كنعان •

وفي الاصحاح الخامس عشر تشريع بدورة ابراء سباعية حيث

توجب على بنى اسرائيل فى كل دورة سبع سنين ، ابراء كل مدين
عبرانى ، وعشق كل عبد عبرانى دون الغريب (١) •

وفى الاصحاحات الثانى عشر والرابع عشر والسادس عشر
والسابع عشر تشريعات متنوعة فى النذور والذبائح والتقدمات
والأطعمة واللحوم وأسبوع الفطير وعيد الفصح مما يماثل قليلا
أو كثيرا ما احتواه سفر الخروج والاحبار •

وفى الاصحاح السابع عشر أمر باقامة ملك كسائر الأمم
حينما يملكون الأرض واشترط أن يكون الملك اسرائيليا وليس
أجنبيا وأن لا يستكثر من الخيل حتى لا يرد الشعب الى مصر
بسبب كثرة الخيل ، ومن النساء لثلا يزين قلبه •

وقد يبدو فى عبارة الخيل أن من تقاليد أو ذكريات بنى
اسرائيل أن كثرة الخيل كانت السبب فى نزوح آبائهم الى مصر •
أما التحذير من استكثر النساء فالمتبادر انه متأثر بواقع ملوك
بنى اسرائيل بعد طروئهم على أرض كنعان على ما سوف نذكره
بعد •

وفى الاصحاح الثالث والعشرين نهى عن دخول أى غموسى
أو مؤابى فى جماعة الرب الى الأبد لأنهم لم يتلقوا بنى اسرائيل

(١) فى سفر الاحبار اقتصرت الدورة السبعمية على اراحة الارض وجعل العنق
فى الدورة الخمسينية على ما اوردها قبل ١٥

بالخبز والماء حينما جاءوا من مصر ونهى عن ابتغاء سلمهم وخيرهم الى الأبد • وقد نهى الاصحاب في الوقت نفسه عن كره الأدومي لأنه أخو الاسرائيلي وعن كره المصرى لأنه كان نزيله والسماح للجيل الثالث من أبنائهم بالدخول في جماعة الرب •

والمتبادر أن المقصود من العبارة هو عدم قبول العمونيين والمؤابيين في الديانة اليهودية • ومنع العموني والمؤابي دون المصرى والأدومي متناقض لأن الأسفار لم تذكر عداً ولا حرباً بين العمونيين والمؤابيين من ناحية والاسرائيليين من ناحية أخرى في حين ذكرت خروج الأدوميين لحربهم واصرارهم على عدم السماح لهم بالمرور من أرضهم ، وفي حين ذكرت مرارا ما كان من اضطهاد المصريين لهم حتى جعلوهم يفرّون • ومن المحتمل أن يكون هذا متأثراً بواقع ما في فترة من التاريخ بعد دخول بنى اسرائيل أرض كنعان حيث كان عداً وصيال بينهما •

ومهما يكن من أمر فالعبارة بالنسبة للأدوميين والمصريين لا تفيد دعوة وتبشيراً باليهودية وكل ما في الأمر السماح لمن يريد هو بنفسه الدخول في جماعة الرب منهم بعد أن يكون مر عليهم بينهم ثلاثة أجيال على الأقل والعبارة بالنسبة للمؤابيين والعمونيين سد لباب الله ودينه — تنزه الله وتعالى عن ذلك — مع أن الأسفار تذكر أنهم أبناء لوط ابن أخى أبيهم الأكبر ابراهيم • والكلام في جبلته يؤيد ما قلناه قبل من كون اليهودية

ليست ديننا تبشيريا وانسانيا عاما ومن كون بنى اسرائيل كانوا
يعتبرونها دينهم الخاص ويعتبرون الله الههم الخاص - جل وعلا
- مع شيء من التساهل بالنسبة لمن يرون من الأمم وبعد أن
يكون قد مر عليه بينهم ثلاثة أجيال مما لا يكاد يكون له مثل ،
ومما أوجد فيهم عقدهم النفسية تجاه الأمم الأخرى وجعلهم في
عزلة تامة عنها . وقد وطدوا هذا كله بما زعموه لأنفسهم من
تقديس وتمييز على جميع الشعوب مما أوردنا نصوصا فيه قبل
قليل نقلا عن الاصحاح السابع خاصة . ومن مظاهر ذلك
ومؤيداته أن جميع ما احتوته الأسفار من تشريعات ووصايا
وانذارات وترغيبات قد وجهت حصرا الى بنى اسرائيل . وهكذا
يمكن أن يقال انه ليس لبنى اسرائيل رسالة انسانية ما . وكل
أمرهم أنانية شديدة وجافة وقاسية الى أبعد حدود الشدة
والجفاف والقسوة على ما تثبتت عليهم نصوص أسفارهم الصريحة .
في حين أن فيما أوحى الله به الى موسى من عقائد ووصايا
ومبادئ وتشريعات ما هو جدير بأن يكون رسالة انسانية سامية
وخالدة كما قلنا ذلك في مناسبة سابقة .

وفي الاصحاحين الثامن والعشرين والتاسع والعشرين ترغيب
وترهيب شديدان مماثلان في مداهما لما جاء في الاصحاح السادس
والعشرين من سفر اللاويين أو الأحبار وأوردناه قبل في حالة حفظ
وصايا الرب ومخالفتها مع بعض اختلاف في الصيغة واسهاب في

الاصحاح الثامن والعشرين واقتضاب في الاصحاح التاسع
 والعشرين مما يلحق فيه فيسا نرى صورة أو أثر لحالة بنى اسرائيل
 وواقعهم بعد طروئهم على شرق الأردن وغربه بل وربما يلحق في
 بعض العبارات أثر لما تعرضوا له من سبى وتشريد كما ترى فيما
 يلي اقتباسا من الاصحاح الثامن والعشرين : « اذا أطلعت أمر
 الرب الهك حافظا جميع وصاياہ يجعلك الرب فوق جميع أمم
 الأرض وتحل عليك البركات • فتبارك في المدينة وفي الصحراء
 ويبارك ثمر بطنك وثمر أرضك وثمر بهائمك • وتبارك في دخولك
 وخروجك • ويجعل الرب أعداءك ساقطين أمامك يخرجون عليك
 من طريق واحدة ، ويهربون من وجهك من سبع طرق • وقيمك
 الرب شعبا مقدسا كما أقسم لك • وان لم تطع كلام الرب ولم
 تحفظ وصاياہ ورسومه تأتي عليك اللعنات وتذكرك فتكون
 ملعونا في المدينة والصحراء • يكون ملعونا سلك ومعجنتك وثمر
 بطنك وأرضك وبقرتك وغنمك • يبعث عليك الرب اللعنة
 والدهش والوبال في جميع ما تمتد اليه يدك ويبيدك سريعا •
 يلزمك الوباء الى أن يستأصلك بضربك بالسبل والحمى والجداء
 والذبول حتى يفتيك • تكون سناؤك نحاسا وأرضك حديدا -
 كناية عن انقطاع المطر والجذب - يجعلك الرب ساقطا أمام
 أعدائك • يضربك بقروح مصر والبواسير والجرب والحكة
 والجنون والعمى ، تكون مظلوما مغضوبا طول أيامك وليس لك

منقذ • تتزوج امرأة فيطوؤها آخر وتبنى بيتا فلا تسكنه وتغرس
كرما فلا تستغله • وبنوك وبناتك يسلون الى قوم آخريين
وعيناك تنظر اليهم • يجلبك الرب أنت وملكك الذي تقيسه الى
قوم لم تعرفهم وتبعد هناك آلهة غريبة من خشب وحجارة وتصير
خرابا وأحدوثة في جميع الأمم • يستعلى عليك الغريب الذي فيما
بينكم • تستعبد لأعدائك الذين يرسلهم الرب عليك ويضعون
نيرا من حديد على عنقك • يسوق الرب عليك أمة من أقاصي
الأرض كالنسر الخافق صلبة الوجوه لا تهاب وجه شيخ ولا
تشفق على طفل • تحاصرك في جميع مدنك حتى تسقط أسوارك
الشامخة الحصينة » •

وفي الاصحاح الثلاثين تأميل عجيب في حالة عودة بنى
اسرائيل الى ربهم حيث يعدهم الرب باعادتهم من جلائهم وجمع
شملهم من بين جميع الأمم الى الأرض التي امتلكها آباؤهم
ويحسن اليهم وينبئهم أكثر من آبائهم ويصرف عنهم اللعنات الى
أعدائهم ومبغضيههم ومضطهديهم ويزيدهم خيرا في جميع أعمالهم
وفي ثمر بطونهم وبهائهم وأرضهم •
وفي هذا وذاك أثر لواقع وحالة وسيرة بنى اسرائيل بعد
طروئهم على أرض كنعان وما تعرضوا له من غزوات وما حل
فيهم من نكال وتشيت كما هو المتبادر •
كما فيهما وخاصة فيما احتواه الاصحاح الثلاثون من تأميل

أثر لفكرة الاختصاص والتأييد الرباني لبنى اسرائيل على كل
 حال منا هو من أسباب ومظاهر عقدتهم النفسية .
 وفي الاصحاح الحادى والثلاثين وصية موسى ليوشع الذى
 صار بأمر الرب وكيلا على بنى اسرائيل بعده يذكر فيها أنه
 قد شاخ وبلغ عمره مائة وعشرين عاما ولم يعد يستطيع خروجا
 ودخولا كما أن الرب منعه من عبور الأردن ويؤمل فيها بتأييد
 الرب وعدم تركه اياه حينما يتقدم لدخول أرض كنعان ويحذره
 من الذعر والخوف . وفيه كذلك خبر كتابة موسى التوراة
 وتسليمها الى الكهنة بنى لاوى حاملى التابوت وسائر شيوخ
 اسرائيل وأمره لهم بجمع الشعب رجالا ونساء وأطفالا وغرباء
 لتتلى عليهم ليتقوا الرب ويعملوا بسوجبها ثم خبر أمر الرب لموسى
 باحضار يوشع الى الخباء يسمع وصية الرب لأنه قد دنا أجله ،
 وقول الرب لموسى انك مضطجع مع آبائك وان هذا الشعب
 سيفجرون باتباع آلهة الأجانب فى الأرض التى هم داخلوها
 وسيتركوننى وينقضون عهدي فيشتد غضبى عليهم وأتركهم
 وأحجب وجهى عنهم فيصيرون مأكلا وتصيبهم الشرور والشدائد
 ثم املأته على موسى ويوشع نشيدا حينما يدخلون الأرض التى
 تدر لنا وعسلا فيأكلون ويشبعون ويسمنون ثم يميلسون الى
 آلهة أخرى ويعبدونها ويصيبهم ما أوعدهم به الرب من الشرور
 والشدائد ، وكتابة موسى الشيد فى سفر التوراة الذى كتبه

وتلقينه لبنى اسرائيل وتسليبه السفر الى اللاويين ، وأمرهم
 بجمع شيوخ الأسباط والعرفاء حتى يتلى عليهم ويشهد عليهم
 السماء والأرض لأنه يعلم أنهم بعد موته سيفسدون ويدلون عن
 الطريق التي سنها لهم فيستظنون الرب ويصيبهم الشر .
 وفي الاصحاح الثاني والثلاثين دعوة الى تعظيم الاله وكلسته
 وعدله وتنديد بالفساد وبالشعب الذي يكافئ الرب بالفساد
 وتذكير بما كان من عناية الرب باسرائيل ، يعقوب وبنيه وجعله
 الأرض ميراثا لهم ، واشتراط بنى اسرائيل لرهبهم بعد سمن
 واكتساء شحم وميلهم الى آلهة الأجانب وذبحهم للشياطين ولآلهة
 لم يعرفها آباؤهم وتوقد غضب الرب عليهم . . وصيغة الاصحاح
 قد تدل على أنه النشيد الذي ذكر في الاصحاح السابق ولو لم
 يرد فيه ذلك صراحة .

ويبدأ الاصحاح الثالث والثلاثون بهذه العبارة « وهذه هي
 البركة التي بارك بها موسى بنى اسرائيل قبل موته » ثم يأخذ
 يذكر دعاء موسى لكل سبط باسم أبيه الأول بدعاء متنوع ،
 وتمنيه لهم بالأمانى وذكر مزاياهم ، ثم ينتهى بهذه العبارة
 « طوبى لك يا اسرائيل . من مثلك شعب منصور بالرب . هو
 ترس عونك وسيف عظمتك لك تخضع أعداؤك وأنت تطأ
 مشارفهم » مما يمت الى فكرة الاختصاص والتميز التي ظلت
 تسيطر على بنى اسرائيل وتنظم سيرتهم .

وفي الاصحاح الرابع والثلاثين وهو الأخير خبر صعود موسى من صحراء مؤاب الى جبل نبو وارااة الرب له جميع الأرض من جلعاد الى دان وجميع نفتالى وأرض افرايم ومنسى وجميع أراضى يهوذا الى البحر الغربى والجنوب والمرج وبقعة أريحا مدينة النخل الى مدينة صوعر قائلا له : هذه هى الأرض التى أقسمت لابراهيم واسحق ويعقوب بأن أعطيها لنسلهم تراها ولا تعبر اليها ، ثم خبر موت موسى هناك ودفنه فى الوادى فى أرض مؤاب تجاه بيت فغور • ثم قال الاصحاح « ولم يعرف أحد قبره الى يومنا هذا » •

والعبارة الأخيرة خاصة تدل بالاضافة الى قرائن كثيرة فى ثنايا الاصحاحات على أن السفر قد دون أو أعيد تدوينه فى عهد متأخر جدا بعد موسى وبعد دخول بنى اسرائيل لأرض كنعان بآمد طويل بل وربما بعد جلائهم عنها وعودتهم اليها ، وفى هذا تأييد لما قلناه غير مرة ان كثيرا مما احتواه السفر ، وغيره من الأسفار - لأنها دونت متأخرة هى الأخرى - قد تأثر بما جرى لبنى اسرائيل من أحداث ووقائع بعد طروئهم على أرض كنعان •

زحف بنى اسرائيل على غرب الاردن

وسيرتهم فيه بقيادة يشوع

- ١ -

ان قصة زحف بنى اسرائيل على غرب الأردن الذى هو أرض كنعان على ما تفيده عبارة الأسفار وسيرتهم فيه بقيادة يشوع وفى ظل وتوجيه الخطة الرهيبة العدوانية التى ذكرناها قبل قليل المذكورتان فى سفر يشوع الذى يأتى فى الترتيب بعد سفر التثنية .

وهو أربعة وعشرون اصحاحا فى ثلاث واربعين صفحة . وفيه هو الآخر كثير من المبالغة والخيال بل والتناقض ولكن فيه شيئا كثيرا من الحقيقة فيما نرجح . وعبارته تدل على أنه كتب بعد يوشع بمدة ما قد تكون طويلة ، فشئت الروايات المتداولة بالخيال والمبالغة والتناقض نتيجة لذلك .

ويحكى اصحاحه الأول خطاب الرب ليشوع وأمره بعبور الأرض التى أعطاها لبنى اسرائيل ووعد له بالتأييد وحته اياه على الشجاعة والتمسك بالشرعة . ومنما قاله له الرب كما جاء

فيه « كل مكان تظؤه أخامص أرجلكم أعطيته لكم كما قلت لموسى من البرية ولبنان ، هذا الى النهر الكبير نهر الفرات والى البحر الكبير الذى فى جهة مغارب الشمس تكون تخومكم » فى حين أن الموقف كان عبور الأردن الى ضفته الغربية بحيث يمكن أن يقال ان هذا التوسع فى التحديد متأثر بما كان من وقائع متأخرة .

وقد حكى الاصحاح أن يوشع طلب من أسسباط جاد وراؤبين ومنسى الذين ورثوا الأراضى المفتوحة فى شرق الاردن الاستعداد لمساعدة اخوانهم فى العبور الى غرب الاردن واحتلاله حسب الاتفاق بينهم وبين موسى فلبوا الطلب .

وكانت أولى حركات يوشع نحو مدينة أريحا التى هى أولى مدن الضفة الغربية . وقد حكى الاصحاحات من الثانى الى السادس من السفر تفصيل هذه الحركات الذى شابه كثير من الخيال ، وخلاصته أن يوشع أرسل جاسوسين الى المدينة فنزلا فى بيت بغى اسمها راحاب وبيتها ملاصق للصور فعلما منها أن الذعر استولى على الناس من أخبار بنى اسرائيل ثم سهلت لهما الفرار فعادا وأعلميا يوشع بما علما فتشجع وأمر بعبور النهر فى موكب دينى خاشع فجند الماء تحت اقدامهم ثم وقف الموكب أمام الأسوار المقفلة ، وطاف حولها بأمر الرب سبعة أيام وفى كل يوم سبعة أطواف وهو يهتف بالرب وينفخ بالأبواق وفى اليوم السابع سقطت الأسوار بمعجزة ربانية فدخل بنو اسرائيل المدينة

١٢٥

واستولوا عليها • وقد نذر يشوع أن تكون المدينة وما فيها مبسلة للرب أى مباداة مدمرة لوجه الله سبحانه وتعالى باستثناء الذهب والفضة والنحاس والحديد لخزانة الرب ، والبغى وأهلها ومالها لأن الجاسوسين وعداها بالنجاة وحلفا لها • وحظر أخذ شئ منها غنيمة • فلما دخلوها قتلوا جميع من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحير وأحرقوها كما أمر يشوع باستثناء المعادن والبغى وأهلها • ثم دعا يشوع بعد ذلك قائلاً ملعون لدى الرب الرجل الذى ينهض ويبنى هذه المدينة !

وكانت حركة يوشع الثانية نحو مدينة العى التى كانت من منازل ابراهيم على ما ذكره الاصحاح الثانى عشر من سفر التكوين والتى هى فى طريق نابلس - القدس من ناحية الشرق الموالية لغور أريحا •

وقد قص الاصحاحان السابع والثامن قصة استيلاء بنى اسرائيل على هذه المدينة بما خلاصته ان يوشع أرسل من تجسسوا عليها فرجعوا وهونوا من شأنها وارتأوا أن يصعد اليها عدد قليل فصعد ثلاثة آلاف فخرج عليهم أهل المدينة وهزمهم وقتلوا منهم فذاب قلب الشعب - بنو اسرائيل - وصار كالماء وحثا شيوخهم التراب على رؤوسهم ومزق يوشع ثيابه وسقط على وجهه وخاطب الرب قائلاً : « لماذا أجزت هذا لشعب الاردن

لتسلمنا الى أيدي الأموريين حتى يبيدونا • يا ليتنا ارتضينا
وأقننا بعبء الأردن • وإذا سح الكنعانيون وسكان الأرض بما
صار أحاطوا بنا ومحووا أسنا من الأرض ! وهذا موقف تكرر
كثيرا من بنى اسرائيل ازاء ما كان يقف أمامهم من عقبات أو
يلقونه من عنت ومقاومة كما كان شأنهم في حياة موسى • وقد
ذكر الاصحاح السابع أن الرب أخبر يشوع بانه انما خذلهم لأن
أحدهم سرق من غنائم أريحا بعض سبائك من الذهب والفضة
فأمر برجه • وحينئذ وعده بالنصر فأرسل جيشا عظيما مع ذلك
من ثلاثين ألف محارب • وخرج ملك العي بجيشه لصددهم فوق
في كمين ودارت عليه الدائرة بمعجزة ربانية فانهم فطاردوه بنو
اسرائيل وقتلوا جميع رجاله وأسروه وصلبوه على باب المدينة ثم
دخلوها وضربوها بحد السيف ، وكان عدد القتلى من رجال
ونساء (١٢٠٠٠) ثم أمر يشوع باحراق المدينة بعد أن استولى
على جميع ما فيها من أموال ومواش حسب أمر الرب كذلك •

وقد ذكر الاصحاح التاسع بعد ذلك حادثا عجيبا خلاصته أن
أهل مدن جبعون وكفره وبثروت وقرية يعاريم — وهذه في منطقة
نابلس على ما تدل عليه أسماء القرى التي تقوم مكانها اليوم —
لما سمعوا بما حل باريحا والعي أرسلوا وفدا الى يوشع يعرضون
ولاءهم ويطلبون عهد أمان ، وادعى الوفد أنه يتكلم باسم مدن
بعيدة جدا وليس ثيابا بالية ونعلا مرقعة وحمل زادا يابس

للتدليل على ذلك فأجابهم يوشع الى ما طلبوا لأن من مقتضى
الخطية أن يقبلوا مسالمة المدن البعيدة جدا وحلف لهم رؤساء
الجماعة • غير أنهم لم يلبثوا أن عرفوا أن هذه المدن قريبة جدا
منهم وأن الوفد خدعهم ولما كانوا قد حلفوا لهم فاكتموا بأن
قرروا أن يكون أهلها محتطبي حطب ومستقي ماء للجماعة ولمذبح
الرب في الموضع الذي يختارونه !

- ٢ -

وحكى الاصحاح العاشر أن ملك أورشليم أدونى صادق
لما رأى ما فعل بنو اسرائيل فى أريحا والعى ورأى ما كان من
خوف أهل جبعون ورفاقهم مع أن مدينتهم كانت عظيمة ورجالهم
جبابرة خشى من عاقبة روح الهزيمة فاستدعى هوام ملك حبرون
وفرام ملك يرموث ويافيع ملك لاكيش وديير ملك عجلون -
والملوك الخمسة ، أموريون كما وصفهم الاصحاح - وعرض
عليهم التحالف ضد جبعون فوافقوا وزحفوا عليها فأرسل أهلها
يستجدون بنى اسرائيل فزحف يشوع على رأس المحاربين
واشتبك مع الملوك وهزم قواتهم بعد أن قتل منها عددا كبيرا
وأسر الملوك الخمسة وشنقهم • وهذه الواقعة هى التى زعم
الاصحاح المذكور أن الشمس وقفت بدعوة يشوع حتى تم له

النصر . ثم ذكر الاصحاح أن يشوع فتح مدينة مقيدة في هذه الرحلة وقتل ملكها وجميع سكانها حتى لم يبق منهم باقية ، وفعل مثل ذلك بلبنة ثم بلاكيش . وصعد هورام ملك جازر لنصرتها فضربه يشوع هو وقومه حتى لم يبق منهم باقية ثم فعل مثل ذلك بعجلون وحبرون وديبر واستولى على مدنها وقراها . وقد قال الاصحاح بعد ذلك وفي نهايته : ان يشوع ضرب جميع أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وجميع ملوكها وأبسل — أهلك — كل نسة كما أمر الرب ولم يبق باقية منهم فضربهم من قادش برنيع الى غزة وانتصر عليهم لأن الرب كان يحارب مع اسرائيل .

وذكر الاصحاح الحادى عشر « ان يابين ملك حاصور لما سمع بنا وقع أرسل الى يوباب ملك مادون والى ملك شمرون وملك أكشاف والملوك الذين الى الشمال فى الجبل وفى القصور وفى السهل وفى بقاع دور غربا والى الكنعانيين شرقا وغربا والى الأموريين والجبليين والفرززيين واليبوسيين فى الجبل والحويين تحت حرمون فى أرض المصفاة . فخرجوا بكل جيوشهم فى خلق كثير مثل الرمل الذى على البحر كثرة وخيل ومراكب كثيرة جدا ونزلوا على مياه ميروم لمحاربة اسرائيل . وشجع الرب يشوع وقال له غدا أجعلهم صرعى أمام اسرائيل . فخرج يشوع بناء على ذلك فأسلمهم الرب الى أيديهم فضربوهم وتعقبوهم حتى لم

يبقى منهم باقى • وقد عرقب يشوع خيلهم وأحرق مراكبهم بالنار
بناء على أمر الرب • ثم عاد وافتتح حاصور وقتل ملكها وكانت
قديما رأس جميع تلك الممالك • وقتل كل نفس فيها وأحرقها
بالنار • وأخذ كل مدائن أولئك الملوك مع ملوكها وضربهم
وأبادهم كما أمر موسى • وقد أخذ بنو اسرائيل جميع غنائم
هذه المدن وبهائمها •

وهكذا ملك يشوع تلك الأراضى كلها ، الجبل وكل الجنوب
وجميع أرض جوشن والسهل والغور وجبل اسرائيل وسهلهم
من الجبل الأملس الممتد جهة سعيير الى بعل جاد فى بقعة لبنان
تحت جبل حرمون ولم تسالم اسرائيل الا جبعون • وقد قسى
الرب قلوب الباقين حتى ييسلهم بنو اسرائيل ويستأصلوهم •
وجاء يشوع فى ذلك الوقت وقرض العناقيين من الجبل من
حبرون وديبير وعناب ومن سائر جبل يهوذا وجميع جبل اسرائيل
ولم يبق عناقى الا فى غزة وجت وأشدود •

والمبالغة بادية فيما ذكرته الاصحاحات • وفى سفر القضاة
بخصوص تنقض كثيرا من ذلك حيث ذكرت حوادث حرب ونضال
وقعت بعد يشوع بين بنى اسرائيل وغير واحد من الملوك والمدن
والشعوب التى قالت الاصحاحات ان يشوع أبادها وأحرقها ولم
يبقى منها بقية •

والمتيادرن أن السفر قد دون بعد يشوع بمدة غير قصيرة خلط

كانتبه الحقائق بالخيال والمبالغة ويلحظ أن الاصحاحات سميت
بعض المواقع باسم جبل اسرائيل وسهلهم وباسم جبل يهوذا مع
أن هذه المواقع لم تكن تسمى بهذه الأسماء حتما حين الاستيلاء
عليها حيث يؤيد هذا أن السفر قد دون كما قلنا بعد يشوع
بمدة غير قصيرة وحينما صارت هذه المواقع بهذه الأسماء ..

- ٣ -

وقد ذكر الاصحاح الثالث عشر أن يوشع هتف لربه قائلا :
انه شاخ وانه بقى أرض كثيرة جدا للامتلاك وهى كل بقاع
الفلسطينيين وكل أرض الجشوريين من الشيجور الجارى فى مصر
الى تخم عقرون شمالا وهى للكنعانيين وأرض أقطاب الفلسطينيين
الخمسة الغزى والأشدودى - أسدود اليوم - ولاشقلونى -
عسقلان اليوم - والحبتى والعقرونى وأرض العوين من الجنوب
كل أرض الكنعانيين ومعاره التى للعيدونيين الى أفيق تخم
الأموريين وأرض الجليلين وجميع لبنان جهة مشرق الشمس من
بعل جاد تحت حرمون الى مدخل حماة وأن الرب وعده بأنه
سيطردهم من وجه بنى اسرائيل ثم أمره بقسمة الأرض على
الأسباط التسعة والنصف .

والعبارة تفيد أن فى ذلك الاجمال الذى ورد فى الاصحاح

الحادى عشر شيئا من المبالغة والتزيد لأن مواقع عديدة من التى ذكر الاجمال انها دخلت فى حياز اسرائيل بقيادة يشوع قد ذكرت ضمن هذه المواقع على ما يظهر من المقابلة • وهذا بالاضافة الى ما كان من واقع بقاء كثير من الأقوام والممالك والمدن التى ظلت متمتعة عليهم، فى غربى فلسطين وشمالها وجنوبها وما كان من واقع التواصل بينهم وبين بنى اسرائيل فى عهد القضاة ومن جملة ذلك ممالك وملوك ودول ذكر سفر يشوع أنها مما استولى عليه بنو اسرائيل وأبادوه، وما كان من تقارير سفر القضاة كذلك ببقاء كثير من الأمم بين ظهرانى بنى اسرائيل فى المناطق والمدن التى استولوا عليها على ما سوف نذكره بعد • وقد قسم يشوع المدن والقرى على الأسباط التسعة والنصف بالقرعة • واحتوت الاصحاحات من الثالث عشر الى التاسع عشر أسماء المدن والحدود التى كانت من نصيب كل سبط • والمدن كثيرة جدا وقد ذكر أنه كان لكل مدينة قرى كثيرة تابعة لها حيث يدل هذا على ما كان من ضخامة العمران فى غرب الأردن وازدهاره وعلى أن بنى اسرائيل انما عاشوا عليه • واليك ثبتا بأسماء المدن مصداقا لذلك : قيصييل - عدر - ياجور - فينه - ديسونه - عدده - قادش - حاصور - ثينان - زيف - طالم - بعلوت - حاصور الحديثة - قريوت - حصرون - امام - شماع - مولاده - حصر رجه - حشمون - بيت فالظ

- حصر شوغال - بشر سبع - بزبوتيه - لبأوت - شلحيم -
 - عين - رمون - اشتاؤل - صرعه - أشنه - زانوح - عين
 - جنيم - تفوح - عينام - يرموث - عدلام - سوكو - عزيقه
 - شعرايم - عدتيايم - جديرة - جدير - تائم - صنان -
 - حداشه - مجدل جاد - دلعان - المصفاة - يقتيل - لاكيش
 - بصقة - عجلون - كبون - لحمام - كتليش - جديروت -
 - بيت داجون - نعمه - مقيدة - لبنه - عاتر - عاشان - يفتاح
 - اشنه - نصيب - قعيلة - اكزيب - مريشه - عقرون -
 - أشدود - غزة - شامير - يتير - سوكو - دنه - سنه -
 - غاب - اشتمو - عانيم - جوشن - حولون - جيلو - أراب
 - دوته - أشعان - ينوم - بيت تفوح - أفيتة - حنطه -
 - أربع - سيعور - معون - كرميل - زيف - يوطه - يزرعيل
 - يقدهام - زانوح - القاين - جبعه - تمه - حاحول -
 - بيت صور - جدور - معرات - بيت عنوت - تقون - بعيل
 - اديعاريم - الرب - بيت العرب - مدين - سكاكه - نبشاه
 - مدينة الملح - عين جدى - اريحا - لسوز - عطاروت -
 - بيت حورون - وجملتها نيف ومائة وعشرون مدينة وربما كان
 عدد القرى التابعة لها ألفا أو نحو ذلك . وكثير من أسماء المدن
 باق اليوم بشيء من التعديل ومطلق على قرى وخرائب فى مختلف
 أنحاء فلسطين . واللمحة العربية القديمة بإدلة على الأسماء ، مما

يؤكد أن منشئها الأولين هم من الأرومات العربية على اختلاف أسمائها .

على أن عبارة الاصحاحات تفيد أن مناطق ومدن كثيرة مما وقع في أنصبة الأسباط التسعة والنصف لم تكن كلها ما استولى عليه بنو اسرائيل بقيادة يشوع حيث كان منها ما استولوا عليه وكان منها ما ظل في حوزة أهله في حياة يشوع ولم يستول عليه بنو اسرائيل الا بعده ، بل ومنها ما لم يستول عليه بنو اسرائيل ويصبح لهم موطن مستقرا قط كبلاد الفلسطينيين في الجنوب .

- ٤ -

ومما ذكره الاصحاح الثامن عشر أن جباة اسرائيل التأم في شيلو التي يخزن مفسرو الأسفار أنها مكان الخربة المسماة اليوم باسم سيلون أو سلوان الواقعة على اثنى عشر ميلا من جنوب نابلس ونصبوا خباء المحضر فيها حيث أصبح هذا الموقع كسا يبدو من العبارة عاصمتهم الدينية والمدنية في حقبته الأولى .

ثم ذكر الاصحاح العشرون أن بنى اسرائيل قدسوا ست مدن لتكون مدن ملجأ حسب الشريعة ، يهرب اليها القاتل الى أن يحاكم أو الى أن يموت الكاهن الأعظم الذى وقع القتل في حياته اذا كان القتل خطأ ، بأمر يشوع استنادا الى أمر الرب ، وهى

قادش في الجليل في جبل نفتالى وشكيم في جبل افرائيم وقرية
أربع وهي حبرون في جبل يهوذا في غرب الأردن وباصر في البرية
وراموت في حليعات وباشان في شرق الأردن • وعبارة الأسماء
تدل على أن السفر كتب بعد يوشع بسدة ما لأن بعضها سمي
بأسماء اسرائيلية نتيجة للقسمة •

ثم ذكر الاصحاح الحادى والعشرون خبر طلب اللاويين
تخصيص مدن لهم يسكنونها مع مجازرها لبهائهم حسب أمر
ورد في الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر العدد فتخلى كل
سبط من الأسباط عن بعض المدن التى كانت من نصيبه فوزعها
يوشع بالقرعة على عشائر اللاويين وكانت ثمانى وأربعين مدينة
موزعة في مختلف أنحاء الأرض •

ثم صرف يوشع أسباط راؤيين وجاد ونصيف منسى الى
أماكنهم في شرق الأردن بعد أن تمت الحركات التى أمكن القيام
بها في أرض كنعان وتسكن الأسباط من امتلاك ما امتلكوه منها
بعد ما باركهم ووصاهم وتنسئ لهم النمو والكثرة على ما ذكره
الاصحاح الثانى والعشرون • وقد أخذوا معهم نصيبهم من
غنائم أرض كنعان وكان مقادير كبيرة من الذهب والفضة والنحاس
والحديد والنبات •

ومما ذكره هذا الاصحاح أن الأسباط الثلاثة المذكورة
انشأت بعد عودتها مذبحا عظيم المنظر على الأردن قبالة أرض

كنعان فاستاء بقية الأسباط في هذه الأرض من ذلك واجتمعوا في شيلو ليصعدوا ويقاتلوهم لأنهم اعتبروا عليهم زيفا وتسردا على ذلك وانقساما دينيا . ثم أرسلوا اليهم وفدا يندهم ويحذرهم ، وقد أكد الأسباط الثلاثة للوفد حسن نيتهم وتتصلوا من الزيف والتسرد وقالوا انهم انما أقاموا المذبح ليكون شاهدا بين التريقين على وحدة التقاليد والعقائد لئلا ينكر أحفاد بنى اسرائيل في أرض كنعان على أحفادهم نصيبهم من الرب ويقولوا مالكم وللرب وهو اله اسرائيل وقد جعل الرب فاصلا الأردن بيننا وبينكم فافتتح الوفد بحسن نيتهم ، ويدل هذا الحادث على أن فكرة الاختصاص قد خافت بدورها أقلية بنى اسرائيل أنفسهم من أكثرتهم !

وفي الاصحاحين الثالث والعشرين والرابع والعشرين أن يوشع جمع شيوخ بنى اسرائيل ورؤساءهم وقضاةهم وعرفاءهم وذكرهم بما كان من عناية الرب بهم وقرضه لأعدائهم واسكانهم في أرضهم مع ما هم عليه من قوة وكثرة لأن الرب هو الذى كان يحاسب عنهم ، ووصاهم بالتسك الشديد بكل ما فى توراة موسى ومن ذلك عدم الاختلاط بالأمم الباقية معهم وذكر آلتها والسجود لها، وأنذرهم بوخيم العواقب ونكال الرب اذا هم فعلوا ، وأن الشعب وعده بذلك فأشهدهم على أنفسهم وسجل عهدهم فى سفر التوراة وأخذ حجرا كبيرا فأقامه تحت البلوطة التى عند

مقدس الرب ليكون شاهدا عليهم . ثم ذكر الاصحاب الرابع
والعشرون بعد ذلك خبر موت يوشع بعد أن بلغ مائة وعشرين
ودفنه في أرض ميراثه في تسعة سارع التي في جبل افرائيم - قرب
نابلس اليوم - ثم خبر دفن عظام يوسف في شكيم - نابلس
أيضا .

عهد القضاة

- ١ -

أعقب موت يشوع عهد عرف بعهد القضاة لأن الزعماء
والقواد الذين تزعموا أو قادوا بني إسرائيل بعد يشوع سمووا
« قضاة » .

ويحكى سيرة هذا العهد سفر القضاة وبعض اصحاحات من
سفر صموئيل الأول الذى تسميه النسخة الكاثوليكية الملوك
الأول .

وسفر القضاة يأتى بعد سفر يشوع مباشرة . وهو واحد
وعشرون فصلا فى اثنتين وأربعين صفحة . وفيه هو الآخر كثير
من الخيال والمبالغة والتناقض مع كثير من الحقائق أيضا فيما
فرجح .

ولا يعرف متى كتب . ولكنه كتب على كل حال بعد عهد
القضاة بأمد ما قد يكون طويلا فكان ذلك سبب اختلاط الحقائق
بالخيال والمبالغة والتناقض .

وحساب السفر يجعل حقبة القضاة نحو أربعمئة سنة (١) مع أنها قد لا تزيد على المائة إذا ما لاحظنا أن الملك الرسمي لبني إسرائيل قام في أواسط القرن الحادى عشر (حوالى ١٠٣٠) وإن بنى إسرائيل خرجوا من مصر في أواخر القرن الثالث عشر (حوالى ١٢١٠) وأن زعامة موسى ويشوع من بعده استمرت نحو ثمانين سنة . وهذا الرقم من مبالغات السفر شأنه شأن الأسفار الأخرى في الأرقام .

- ٢ -

ولقد احتوى السفر تفاصيل كثيرة عن حقبة عهد القضاة يستفاد منها أن بنى إسرائيل حاربوا بعض الذين ظلوا أصحاب اليد في مدنها ومناطقهم في غرب الأردن ونجحوا في بعض حروبهم وأنهم تعرضوا لغارات وغزوات وازعاجات كثيرة من داخل

(١) مما ذكره الأصحاح أن ملك آرام غزاهم فاستمبدهم ثمانى سنين ثم خلصوا فاستراحوا أربعين سنة ثم استمبدهم ملك عجلون ثمان عشرة سنة ثم خلصوا منه فاستراحوا ثمانين سنة ثم استمبدهم ملك حاسور ثمان عشرة سنة ثم أهل مدين والشرق سبع سنين وحكمهم جدعون الذى خلصهم من المدينين أربعين سنة وابنه أيبمالك ثلاث سنوات ثم قضى لهم تولع القافى لئلا يمشيرون سنة وبائين النتنين وعشرين سنة بعد جدعون وابنه واستمبدهم بعدهما العمونيون ثمان عشرة سنة وقضى لهم يتناح الذى خلصهم ست سنوات ثم قضى لهم بعده ابصان سبع سنوات وأبيلون عشر سنوات وجدون ثمان سنوات ثم استمبدهم الفلسطينيين أربعين سنة.

الأرض ومن خارجها وأنهم كانوا ينحرفون انحرافات دينية وخلقية واجتماعية عزا السفر اليها تسليط الرب عليهم المغيرين والعزاة والمزعجين *

والاستفاد من اصحاحات السفر منذ أوائلها أن انحرافات بنى اسرائيل كانت عقب موت يوشع ودخولهم في حقبة عهد القضاة دون تلبث قليل ناسين العهد الذى أخذه عليهم يوشع وسجله في التوراة على ما حكاه آخر اصحاحات سفر يوشع ، مما كان دأبهم منذ خروجهم من مصر ، ومما يدل على ضعف صلابتهم ومقاومتهم وسرعة تأثرهم بعقائد وتقاليد الوثنيين حولهم ثم على عدم مبالاتهم بزواجر الله ونذره وتقريعات الأنبياء ووصاياهم للمشددة المتكررة *

وقد ذكر الاصحاح الأول أن سبط يهوذا بالتضامن مع سبط شمعون نشط لمحاربة الكنعانيين الذين ظلوا مقيمين أو أصحاب يد في بعض الأقسام التى كانت في قسمهم حسب تقسيم يشوع ، وأنهم ضربوا الكنعانيين والفرزيين في بازق وقتلوا منهم عشرة آلاف وأسرؤا ملك بازق وقطعوا أباهم يديه ورجليه وأتوا به الى اورشليم حيث مات فيها ، ثم حاربوا اورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف وأحرقوها بالنار ، ثم حاربوا الكنعانيين في أربع وضربوا شيشاي واحيمان وتلمان - وهذه الطوائف الثلاث من طوائف العناقين على ما ذكر في سفر الخروج - ثم

زحفوا على دبير فاستولوا عليها ، ثم انطلقوا فضربوا الكنعانيين في صفات ودمروا المدينة ، ثم زحفوا على غزة وأشقلون وعقرون فاستولوا عليها مع توابعها ، وأن سبط يوسف صعدوا الى بيت ايل التي كانت تسمى لوز واستولوا عليها بحد السيف .

وقد ذكر هذا الاصحاب أن بنيامين لم يطردهوا اليبوسيين المقيمين في اورشليم فعاشوا معهم ، وأن منسى لم يطردهوا أهل بيت شان وتوابعها وأهل تغتك وتوابعها وأهل مجدو وتوابعها فعاشوا معهم ، وأن افرائيم لم يطردهوا الكنعانيين المقيمين في جازا فعاشوا معهم ، وأن أشير لم يطردهوا الكنعانيين المقيمين في عكا وأحلب وأوكزيب وصلبة ورحوب فعاشوا معهم ، وأن نفتالى لم يطردهوا الكنعانيين في بيت شمس وبيت عنات فعاشوا معهم ، وكل ما كان من أمر انهم ضربوا عليهم الجزية ، وأن الأمورين حصروا بنى دان في الجبل ولم يفسحوا لهم المجال للنزول الى الوادى .

وهذا وذلك ينقض كثيرا مما جاء في سفر يشوع على ما نبهنا عليه حيث يفيد أن دبير وأورشليم ولوز وأربع لم تكن في يد اسرائيل في حياة يشوع ، وأن يشوع لم يقرض طوائف العنانيين شيشاي واحيمان وتلمان ، وأن سكان كثير من البلاد والمدن التي استولى عليها لم يبيدوا كما زعم سفر يشوع وأن تقسيم

البلاد الذى جرى فى عهد يشوع كان شاملا لما وقع فى أيديهم
وه' لم يقع *

- ٣ -

والاصحاح الثانى عرض اجبالى لسيرة بنى اسرائيل فى حقبة
عهد القضاة * وقد بدأ بحكاية خطاب ملاك الرب الذى قال : انه
صعد من الجلجال الى موضع الباكه لبنى اسرائيل مذكرا اياهم
بما كان من تأييد الرب لهم ووصاياهم بعدم معاهدة اهل الأرض
ثم يأخذ بالتنديد بهم لعدم سماعهم وصاياهم وبيعابقتهم على ذلك
بعدم طرد اهل الأرض وابقائهم ليضايقوهم وتكون آلهتهم شركا
لهم ، وذكر الاصحاح بعد ذلك بما كان من اخلاص الشعب فى
أيام يشوع ثم قال « ونشأ من بعدهم جيل آخر لا يعرف الرب
ولا ما صنع لاسرائيل * ففعل بنو اسرائيل الشر فى عين الرب
وعبدوا البعليم * وتركوا الرب اله آبائهم الذى أخرجهم من أرض
مصر وتبعوا آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا
لها وأسخطوا الرب * وتركوا الرب وعبدوا البعل والعشتاروت *
فغضب الرب على اسرائيل فدفعهم الى أيدي المستهين فاتهبوهم
وباعهم الى أيدي أعدائهم الذين حولهم ولم يقدروا بعد أن
يشبثوا فى وجوه أعدائهم * فكانوا حيثما خرجوا تكون يد الرب

عليهم للشر كما قال الرب وكما أقسم فضايق بهم الأمر جدا •
 فأقام الرب عليهم قضاة فخلصوهم من أيدي المنتهين • ولقضاتهم
 أيضا لم يسمعوا بل فجروا باقتنائهم آلهة آخر وسجدوا لها
 ولم يلبثوا أن حادوا عن الطريق التي سلكها آبائهم على طاعة
 وصايا الرب ولم يضعوا مثلهم • فلما أقام عليهم قضاة كان الرب
 مع القاضى فكان يخلصهم من أيدي أعدائهم كل أيام القاضى لأن
 الرب رحم أنبياءهم من ظالمهم ومضايقيهم • وإذا مات القاضى كانوا
 يرجعون الى الفساد أكثر من آبائهم باتباعهم آلهة آخر ليعبدوها
 ويسجدوا لها ولم يحدوا عن سوء أعمالهم وطريق قساوتهم •
 فاشتد غضب الرب على اسرائيل • وقال «بما أن هذه الأمة
 قد تعدت عهدي الذى أمرت به آبائهم ولم تسمع لصوتى فلا
 أعود أنا أيضا أطرد واحدا من أمامها من الأمم التى تركها
 يشوع عند وفاته لامتحن بها اسرائيل هل يحفظون طريق الرب
 ويسلكون فيها كما حفظها آبائهم أم لا ؟ فترك الرب تلك الأمم
 ولم يطردها سريعا ولم يسلسها الى يد يشوع (١) » •

ولقد أخذ الاصحاب الثالث وما بعده يذكر ما كان يطرأ على
 بنى اسرائيل من غارات وغزوات وما كان من تسلط المغيرين
 والغزاة عليهم واعانتهم لهم ، فكان ما جاء فى الاصحاب الثانى
 من التنديد والتذكير قد جاء بمثابة تعليل لذلك • وهذا هو

أسلوب الأسفار حيث تربط بين ما يقع على بنى اسرائيل من بلاء خارجى وداخلى وبين مخالقاتهم لوصايا الرب وشرائعه التى منها ما فيه ظلم وقسوة لغيرهم تعالى الله عنه • والمتبادر أنه أسلوب متأثر فى الدرجة الأولى بالوقائع •

وقد بدأ هذا الاصحاب بذكر الأمم الذين تركهم الرب لامتحان بنى اسرائيل • وهم خمسة أقطاب الفلسطينيين — والمقصود على الأرجح الغزى والأشقلونى والحيتى والعقرونى والاسدودى لانهم وصفوا بهذا الوصف فى عبارة سابقة أوردناها قبل — وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحويين المقيمين بجبل لبنان من جبل بلع حرمون الى مدخل حماة ، وذلك بالاضافة الى الكنعانيين والحيتيين والأموريين والفرزيين واليبوسيين الذين أقاموا مع بنى اسرائيل والذين تزوج بنو اسرائيل بناتهم وأعطوهم بناتهم وعبدوا آلهتهم ونسوا الرب وعبدوا البعليم وعشترتوت كما جاء فى عبارة الاصحاب ، حيث يفيد هذا أن سكان أرض كنعان القدماء ظلوا محتفظين بسراكرهم وكيانهم خلافا لما زعمه سفر يشوع ، وأنهم كانوا مع أهل البلاد المجاورة لأرض كنعان — غرب الأردن — يتربصون ببنى اسرائيل ويجتمعون على الوقوف منهم موقف العداء والتجهم ، وأنهم كانوا الى هذا أصحاب تأثير دينى واجتماعى قوى فيهم •

- ٤ -

وكان أول من غزا بنى اسرائيل فى الحقبة عقابا لهم على ما جاء فى هذا الاصحاح شنعايم ملك آرام النهرين فاستعبدهم ثمانى سنين • وكان خلاصهم منه على يد عتثيل ابن قناز أخو كالب الأصفر • وكالب هذا كان أول قضاتهم بعد موت يوشع • وكان ثانى من غزاهم حجلون ملك مؤاب حيث جمع عليهم بنى عمون والعماليق وضربهم واستعبدهم ثمانى عشرة سنة على ما ذكره الاصحاح نفسه الذى ذكر أن ذلك كان عقابا لهم لعودتهم الى الشر والفساد بعد موت مخلصهم الأول • وكان خلاصهم على يد أهود بن جبرا الذى تسكن من اغتيال ملك مؤاب فى غرفة نومه وقد قص الاصحاح ذلك فى سياق فيه كثير من الخيال وذكر فيه فيما ذكر أن أهودا قاد بعد ذلك بنى اسرائيل وحارب المؤابيين وانتصر عليهم وقتل منهم عشرة آلاف محارب شجاع • فذل المؤابيون فى ذلك اليوم تحت يد بنى اسرائيل • وبعد هذا قام زعيم اسمه شمنجر بن عنات وخلص اسرائيل من أهل فلسطين حيث قتل منهم ستمائة رجل بمناساس البقر — اسم المكان على الأرجح — حيث يفيد هذا الخبر الذى ورد فى نفس الاصحاح بهذه العبارة المقتضبة ان الغارة الثالثة كانت من ناحية الفلسطينيين الذين كانت منازلهم فى الجنوب •

وفي الاصحاحين الرابع والخامس قصة تسلط يابين ملسك حاصور الكنعاني على بنى اسرائيل بعد موت أهود حيث عادوا الى صنع الشر فباعهم له حسب عبارة الاصحاح ، وكان اسم قائده الذى قهرهم سيسرا وكان له تسعمائة مركبة من حديد فخضعوا لهذا الملك عشرين سنة ، وكان خلاصهم على يد باراق ابن أينوعم بأمر النبية ديورة حيث زحف على رأس قوات بنى اسرائيل على قوات سيسرا وتغلب عليها وأمعن فيها قتلا حتى لم يبق منها باق على زعم الاصحاح . وفر سيسرا ولكنه ما لبث أن لقي حتفه هو الآخر ، فى سياق فيه كثير من الخيال .

ويلحظ أن سفر يشوع ذكر أن يشوع فتح حاصور وقتل أهلها مع ملكها يابين ولم يبق منهم باق على ما أوردناه قبل . وهكذا جاء هذا الخبر لينقض ذلك بالنسبة لمملكة حاصور وقوتها وإن كان من المحتمل أن يكون اسم ملكها الذى تسلط على بنى اسرائيل فى هذا العهد غير الملك الأول وإن كان على اسمه . وقد ذكر الخبر أن القتال كان فى منطقة جبل تابور . وهذا فى منطقة الجليل فى شمال فلسطين والخبر يفيد أن مملكة حاصور كانت قوية وأن سلطانها كان شاملا لمنطقة واسعة ، ولا يمكن الجزم بما اذا كانت سيادة حاصور شملت جميع بنى اسرائيل فى جميع غرب الأردن أو القسم الشمالى منه والا كان الخبر يفيد الشمول أكثر .

وفي الاصحاح السادس خبر غارات المدينين والعمالقة وبنى
المشرق على سرائيل حيث دفعهم الرب الى أيديهم بسبب عودتهم
الى الشر حسب عبارة الاصحاح . وقد قويت أيدي المغيرين
عليهم حتى اضطروا الى ترك مدنها وقراهم والالتجاء الى
الكهوف والمغاور والحصون . وكانوا اذا زرعوا صعدوا عليهم
فأفسدوا غلتهم الى مدخل غزة ولم يبقوا ميرة ولا غنما ولا
بقرا ولا حميرا . وكانوا يصعدون بمواشيهم وخيامهم ويأتون
كالجراد كثرة . فذلت اسرائيل ذلا عظيما لمدة سبع سنين . وكان
خلاصهم على يد جدعون الذى كان أول ما فعله هدم مذبح
البعل الذى أقامه أبوه ، والذى زحف على رأس الاسرائيليين
واشباك مع المدينين والعمالقة وبنى المشرق الذين احتشدوا فى
وادي بزرعيل وضربهم ضربة شديدة على ما ذكره الاصحاح
السادس والسابع فى سياق طويل فيه كثير من الخيال واحتوى
فيما احتواه خبر قتل ملكى مدين زاباح وصلمناع وقائديهما
زيب وعوريب بعد كسر قواتهما وقتل عدد عظيم منهم قال
الاصحاح - مبالغا على ما نرجح - ان عددهم بلغ مائة وعشرين
ألف مختطف سيف .

وفى هذا الخبر نقص او انتفاص لما ذكره الاصحاح الحادى
والثلاثون من سفر العدد من زحف بنى اسرائيل بأمر موسى على
المدينين واهلاكهم وتدمير مدنها على ما أوردناه قبل . فليس

من المعقول أن يكون تم ذلك كما ذكر الاصحاح المذكور من سفر العدد ثم نما المدينيون وقبوا حتى قدروا على غزو الاسرائيلين وازعاجهم الشديد بالشكل الذي وصفه الاصحاح السادس من سفر القضاة ، وعرض بنو اسرائيل على جدعون أن يحكمهم هو وأبناءؤه من بعده . فحكمهم مدة أربعين سنة كما يقول الاصحاح . ولما مات عاد بنو اسرائيل الى الشر على ما ذكره الاصحاح الثامن واتبعوا البعليم واتخذوا لأنفسهم بعل بريت لها . وكان جدعون قد ترك سبعين ولدا لأنه تزوج وتسرى بعدد من النساء ، وكان من بينهم واحد اسمه أيسلوك أمة سرية من شكيم فاستعان بأهلها ليكون الحكم له دون اخوته فلبوا طلبه وأعطوه سبعين من الفضة أخذوها من بيت بعل بريت فاستأجر بها رجالا أشقياء وذهب على رأسهم الى بيت أبيه في مدينة عفرة فقتل اخوته السبعين على صخرة واحدة . وهذا الحادث أفضع وأشمل حادث من نوعه في التاريخ القديم . وقد نجا واحد منهم اسمه يوتام وهو أصغرهم فانطلق واختفى . وملك أيسلوك ثلاث سنين ثم بعث الله روح الشر بينه وبين أهل شكيم ليرتد عليه ظلم قتل اخوته كما ذكر الاصحاح فغدروا به وأخذ ينشب بينه وبينهم قتال وأصابه في سياق ذلك ضربة حجر كسرت جمجمته وكان فيها هلاكه . معما ذكره الاصحاح التاسع .

وقد ذكر الاصحاح العاشر أنه قام على قضاء بني اسرائيل

بعده تولع بن فؤاة وبعد هذا يائبر الجلعادى • وعاد بنو اسرائيل
بعد هذا الى فسادهم وانحرافهم فعبدوا البلييم وعشتاروت
والآلهة آرام وحيدون ومؤاب وبنى عمون والفلسطينيين على ما
ذكره الاصحاح العاشر حيث يدل هذا الوصف على أن كل
جباعات بنى اسرائيل فى شرق الأردن وغربه زاغوا عن طريق الله
واندمج كل منهم فى عبادة آلهة الشعوب التى حولهم فكان
انهيارهم شاملا عجيبا •

وقد قال الاصحاح بعد هذا ان غضب الرب اشتد عليهم
وباعهم لبنى عمون فتغلبوا على الذين فى أرض الأموريين فى شرق
الأردن من بنى اسرائيل ثم عبروا النهر وحاربوا أسباط يهوذا
وبنيامين وافرائيم وهم الساكنون فى المنطقة الجنوبية والوسطى
من غرب الأردن وضيقوا عليهم الخناق • وكان خلاصهم على
يد زعيم اسمه يفتاح الجلعادى حيث تمكن من قهر العمونيين
وضربهم • وكان هذا الزعيم على ما ذكره الاصحاح الحادى عشر
ابن بغي طرده اخوته الشرعيون وكان جبار بأس فذهب اليه
شيوخ جلعادى وعاهدوه على الرأسة والسمع والطاعة فقبل
وتمكن من ضربهم ونذر بأن يقدم أول من يلقاه من بيته ذبيحة
شكرا للرب فلقى ابنته وهى وحيدته ولكنه وفى بنذره فأحرقها •
«وتضحية البشر» ليس من شريعة موسى وانما كان من شريعة
الكنعانيين حيث يبدو من هذا قوة تأثير بنى اسرائيل بهؤلاء •

ومما ذكره الاصحاح الثاني عشر ان سبط افرائيم تمرد على يفتاح بذريعة عدم أخذه اياهم لحرب بنى عيون فأوقع فيهم مذبحه هائلة هلك فيها اثنان وأربعون ألفا .

ولما مات يفتاح تولى القضاء زعيم اسمه ابضان ثم تولاه ايلون الزبولوني ثم عبدون بن هليل الفرعوني على ما ذكره الاصحاح المذكور .

وعاد بنو اسرائيل الى شرهم وفسادهم بعد هذا الزعيم فدفعهم الرب الى الفلسطينيين أربعين سنة على ما جاء في الاصحاح الثالث عشر وكانوا متسلطين عليهم . وكان خلاصهم على يد شمشون في سياق طويل استغرق هذا الاصحاح والاصحاحين التاليين له وفيه كثير من الخيال والمبالغة . وشمشون هذا هو صاحب المثل المشهور « على وعلى أعدائي يا رب » .

وفي الاصحاح الثامن عشر قصة غزو سبط دان لمدينة كنعانية قرب صيدا اسمها لايش واستيلائهم عليها وتسميتهم اياها باسمهم .

وفي الاصحاح السابع عشر قصة صغيرة تدل على استنزاء الشرك في بني اسرائيل واندماج الجميع فيه ، حيث تحكى صنع

وجعل اسمه ميخا - من فضة أخذها من أمه - صنما منقوشا وآخر مسبوكا وجعلهما فى غرفة فى بيته سماها بيت الآلهة وزخرفها بزخارف طقسية من نوع زخارف المخبأ • وجاء فتى من اللاويين من عشيرة يهوذا طارقا الى البيت فأضافه ميخا ولما علم أنه لاوى عرض عليه البقاء عنده وغدوه كاهنا لبيت آلهته فقبل •

وفى الاصحاح الثامن عشر قصة غزو سبط دان لمدينة كنعانية قرب صيدا اسمها لايش واستيلائهم عليها وتسميتهم اياها باسمهم • وذكر الاصحاح ذلك فى سياق قوله انه لم يكن لبنى اسرائيل فى تلك الايام ملك وان سبط دان يطلب ميراثا للسكنى لانه الى ذلك اليوم لم يكن قد وقع له نصيب يرثه بين أسباط اسرائيل (١) •

ومما ذكره الاصحاح فى هذا السياق أن المحاربين الذين صعدوا لاختد المدينة مروا ببيت ميخا وأخذوا الاصنام والزخارف والكاهن اللاوى ونصبوها فى المدينة التى استولوا عليها عنوة واتخذوها لهم وظل الكاهن وبنوه من بعده كهانا لها الى يوم جلاء اسرائيل عن الارض !

وفى الاصحاحات التاسع عشر والعشرين والحادى والعشرين

(١) فى الاصحاح التاسع عشر من سفر يوشع ذكر لنصيب دان وأسماء عدة من المدن واقعة فى تخبيهم ونصيبهم ، ولكنه قال ان تخبيهم كان ضيقا عليهم فصعدوا وحاربوا لاشم وأخذوها بعد السيف وورثوها وسكنوا فيها وسموها باسم آبائهم •

١٦٢

وهى الاخيرة من سفر القضاة قصة حادث عجب يكاد يكون وحيدا
فى التاريخ مهما كان من المحتمل امتزاجه بالفلو والخيال •

فقد نزل أحد أبناء سبط لاوى مع سرية له ضيفا على أحد بنى
بنيامين فى مدينة اسمها جبع فجاء جماعة من أهل المدينة يقال لهم
بنو بليعال وطرقوا الباب وطلبوا من صاحب البيت اخراج الضيف
ليفعلوا به الفاحشة فاستنكر صاحب البيت الطلب وحاول صرفهم فلم
يتمكن الا باخراج سرية الضيف لهم فأخذوها وتعاقبوا عليها واحدا
بعد آخر حتى زهقت روحها فقطعها زوجها اثنتى عشرة قطعة ووزع
قطعها على تخوم أسباط بنى اسرائيل • وارتاع بنو اسرائيل
للحادث واجتمع مثلهم للتحقيق والمشاورة وجاء اللاوى فقص
عليهم قصته فأنارتهم أشد اثارة وجعلتهم يقررون الانتقام للرجل
وأرسلوا الى عشائر بنيامين يطلبون تسليم بنى بليعال فرفضت
واستعدت للقتال فقررت الاسباط الباقية الاحدى عشرة أن يرغموها
بالقوة وزحفت على جبع وكانت عدة محاربى الاسباط أربعمئة ألف
وعدة محاربى بنيامين ستة وعشرين ألفا وسبعمئة • وأخذت
الاشتباكات تقع بين الطرفين • وكانت فى البدء تقع بين بنيامين
وأحد الاسباط نوبة بعد نوبة فاستطاع الاولون أن يصمدوا وكانوا
يتغلبون على مقاتليهم فى الاشواط الاولى حتى قتلوا منهم عددا عظيما

بلغ نيفا وأربعين ألفا • ثم تضامنت الاسباط بأمر الرب وتأبىـده فتغلبت عليهم وقتكت بهم وحرفت مدنهم ولم يكـد ينـجو منهم الا ستمائة رجل فروا الى البرية واحنموا بصخرة يقال لها صخرة الرمون • وحلف الاسباط الا يزوجهـم حتى ينفى نسل بنيامين • ثم ندموا على حلفهم واحتالوا لهم حتى جعلوهم يحصلون على زوجات لهم وسمحوا لهم بالعودة الى بلاد ميراثهم •

هذا ، وقبل أن ننقل الكلام الى سفر صموئيل الاول نقول ان اصـحاحات سفر القضاة التى ذكرت خلاص اسرائيل على يد فضائهم مرة بعد مرة من آيدى الذين تسلطوا عليهم فى غرب الاردن وشرقه لم تذكر أن بنى اسرائيل أبادوا أعداءهم باستثناء المدنيين ، وكل ما تفيدـه أنهم كانوا يتفلتون من قبضتهم أو يقهرونهم ، بحيث يصح أن يقال ان الفلسطينيين والاموريين والكنعانيين والمؤابيين والعمونيين والادوميين فى غرب الاردن وشرقه ظلوا مستقرين فى الارض محتفظين بشخصياتهم دينيا واجتماعيا وكان الفلسطينيون فى الجنوب بنوع خاص أصحاب قبضة واستعلاء • ويستفاد من الاصـحاحات الاخيرة من سفر القضاة انه لم يقر بعد شمعون زعيم قوى فى بنى اسرائيل وكانت حالتهم فوضى • وفى حالة الفوضى هذه وقعت حادثة ميخا وأصنامـه وزحف جماعة بنى دان على مدينة لايش

١٦٣

واستبلاهم عليها وأخذهم إياها آلهة وأصناما لهم • وكانت هذه الحالة مما جعل الفلسطينيين وغيرهم يقوون ويسنعلون وجعل بنى اسرائيل يفكرون فى اقامة ملك لهم ينضوون تحت رايته ويناضلون الذين استعلوا عليهم وأزعجهم مما تصف الاسفار التالية لسفر القضاة قصته •

- ٦ -

وسفر صموئيل الاول أو الملوك الاول - الذى تحكى اصحاحاته التسعة الاولى بقية سيرة بنى اسرائيل قبل قيام ملك لهم - واحد وثلاثون اصحاحا فى تسع وخمسين صفحة • واسمه مقتبس من اسم صبى كاذب يخدم الكاهن الاكبر عالى ثم تولى بعهد الكهانة ومسح شاوول ملكا ثم داود من بعده •

وهو الآخر ، كتب على ما تدل عباراته بعد أمد ما ، من الحقبة التى يقص سيرتها ، قد يكون طويلا • وفيه بسبب ذلك على ما هو المتبادر كثير من الخيال والمبالغة والتهويلات مع كثير من الحقائق أيضا •

ويستفاد من اصحابه الاول أن الكهانة الكبرى كانت في عهدة
 كاهن اسمه عالي ووصف برجل الله وشغل منصبه أربعين سنة •
 ومما ذكره الاصحاح الثاني أن فتيان بني اسرائيل كانوا يزدرون
 الطقوس الدينية وان أبناء عالي كانوا لا يعرفون الرب • ولا يفرقون
 بين حق الشعب والكهنة كما كانوا لا يتورعون عن مضاجعة النساء
 المجتمعات في باب الخباء على علم من الملاء حيث يدل هذا على مقدار
 استسراء الانحراف الديني والخلقى في بني اسرائيل • وقد ذكر
 الاصحاح أن عالي الكاهن علم بفسق أبنائه وفسادهم فوبخهم
 ووعظهم وأندرهم فلم يؤثر ذلك فيهم مما جعل الرب يغضب ويوحى
 الى عالي بأنه قرر قطع الكهانة من ذريته وتحويلها الى غيرها وانزال
 الموت بنيه الفاسقين •

ويقص الاصحاح الثالث قصة صموئيل الصبي الذى كان يخدم
 عالي الكاهن واستقامته واتصال الرب به وجعله نبيا وترشيحه للكهانة
 الكبرى مكان عالي •

ويذكر الاصحاح الرابع خبر نشوب الحرب بين بني اسرائيل
 والفلسطينيين ، وقد دارت المعركة بين الطرفين في أفيق فانهزم
 بنو اسرائيل أمامهم وقتل منهم أربعة آلاف • ورجع المنهزمون الى
 شيلو فحملوا تابوت الرب معهم للاستتصار به وكروا على

الفلسطينيين وكان ابنا الكاهن الفاسقان هما اللذان حملاء فانهزموا ثانية وقتل منهم ثلاثون ألفا من جملةهم الابنان المذكوران وأخذ الفلسطينيون التابوت ، مما أثار في نفوس بني اسرائيل عظيم التشاؤم والذعر وجعلهم يمزقون ثيابهم وينوحون في كل بيت ولما وصل الخبر الى عالي الكاهن وكانت الشيخوخة قد هدته سقط عن كرسيه فاندق عنقه ومات *

وأفبق هذه في أعالي الجليل - وهي الآن من أعمال سورية - ومعنى العبارة أن الفلسطينيين اقتحموا أرض بني اسرائيل واخترقوها من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال *

ويحكى الاصحاحان الخامس والسادس أن التابوت بقى عند الفلسطينيين تسعة أشهر وأن ضربات من البواسير والفئران قد نزلت بهم بسبب وجوده بين ظهرائهم مما جعلهم يتشاءمون ويقررون اعادته الى بني اسرائيل مع خمسة تماثيل ذهبية للفئران ومثلها للبواسير هدية معه على عدد ممالكهم وهي غزة وأشدود وأشقلون وجت وعقرون بناء على نصيحة كهانهم وعرافيهم ، وقد وضعوه على عجلة مقطورة بقترين وأطلقوهما في اتجاه أرض بني اسرائيل فسارتا حتى وصلتا الى بيت شمس احدى مدنتهم ومنها الى باريص حيث بقى فيها الى أن نقل الى اورشليم في زمن داود *

وقد ذكر الاصحاح السابع أن الامر ظل على هذا الموقف

عشرين سنة وأقبل كل بيت اسرائيل الى الرب فقال لهم صموئيل
الذى صار كاهنهم الاكبر « ان كنتم تائبين الى الرب من كل قلوبكم
فأزِيلُوا الآلهة الغربية والعشتاروت من بينكم وأعدوا قلوبكم للرب
واعبدوه فبقذكم من أيدي الفلسطينيين » فاستجاب بنو اسرائيل
لكلامه وأزالوا عنهم البليغ والعشتاروت وعبدوا الرب وحده •
حيث يدل هذا على ما كان من انحراف نحو الوثنية والشرك وتائر
بمقائد سكان الارض الافدين •

ويقول الاصحاب نفسه : ان بنى اسرائيل احتشدوا فى المصفاة
وصاموا واعترفوا بخطيئهم وقضى صموئيل لهم ، وان أقطع
الفلسطينيين لا سمعوا باحتشادهم صعدوا اليهم فخاف بنو اسرائيل
والتجأوا الى صموئيل ليصرخ الى الرب من أجلهم حتى يخلصهم من
أيدي الفلسطينيين ففعل فاستجاب الرب اليه فأرعد بصوت عظيم
أزعج الفلسطينيين وجعلهم يهزمون من وجه اسرائيل ، ونعمهم
بنو اسرائيل وضربوهم الى ما تحت بيت كار فذل الفلسطينيون ولم
يعودوا يدخلون تخوم اسرائيل وعادت الى اسرائيل المدن التى كانت
دخلت فى حوزتهم من عقرون الى جت •

والعبارة تفيد كما هو واضح انكفاف يد الفلسطينيين ومبظرتهم
عن بنى اسرائيل وحسب ، وبالتالي ظل الفلسطينيون مستقرين فى
أرضهم محتفظين بممالكهم وسلطانهم •

ومع ذلك فإن الاصحاح العاشر ذكر في سباق ترشيح شاؤول للقيادة. والملك أن الرب أوحى لصموئيل أنه هو الذي اختاره ليكون قائدا لشعبه ومخلصا لهم من أيدي الفلسطينيين لان صراخ شعبه قد انتهى اليه فقرر الالتفات اليهم • وفي هذا نقض لما ذكره الاصحاح السابع من انكفاف يد الفلسطينيين عن بني اسرائيل وارتفاعها عن تخومهم كل أيام صموئيل ! ويفيد أن الفلسطينيين ظلوا مسيطرين على بني اسرائيل وعلى الأقل أنهم عادوا فسيطروا عليهم ••

ولقد جاء في الاصحاح السابع بعد العبارة التي ذكرت انكفاف الفلسطينيين عن تخوم اسرائيل هذه العبارة • وكان بين اسرائيل والاموريين سلم • حيث يفيد هذا أن الاموريين كانوا بدورهم محتفظين بكيانهم وسيادتهم في البلاد التي كانت في حوزتهم من أرض كنعان ••

وفد ذكر الاصحاح الثامن أن صموئيل الذي كان يتولى الكهانة والقضاء لبني اسرائيل شاخ فجعل بنيه قضاة • ولكنهم لم يسلكوا مسيله وأخذوا الرشوة وحابوا في القضاء • فاجتمع شيوخ اسرائيل وجاءوا الى صموئيل في الرامة التي كانت مركزه وأخبروه بسيرة أبنائه العوجاء وطلبوا منه اقامة ملك عليهم يقضى بينهم كجميع الامم فساءه الطلب فصرى الى الرب فأمره الرب أن يسمع لكلام

الشعب وقال له انهم لم يسأموك أنت وانما سئوني أنا كديدهم منذ خروجهم من مصر، ثم قال له اسع الآن لقولهم ولكن اشهد عليهم وأخبرهم بسنن الملك الذي يملك عليهم فأخبرهم صموئيل بما قاله الرب ثم قال لهم ان سنة الملك الذي يملك عليكم هي أن يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه فيركضون أمام عجلته • ويتخذ لنفسه رؤساء ألف ورؤساء خمسين وأكره لحرثه وحصاده وصناعا لآلات حربه وأدوات عجلاته • ويتخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات • وحقولكم وكرومكم وأفضل زيتونكم يأخذها ويعطيها لعبيده • ويأخذ عشورا من زروعكم وكرومكم ويعطيها لخصيانه • ويأخذ عبيدكم واماءكم وشبانكم الحسان وحميركم ويستعملهم في شغله • ويعشر ماشيتكم وأتم تكونون له عبيدا فتصرخون في ذلك اليوم من ملككم الذي اخترتموه لانفسكم فلا يجيبكم الرب • فأبى الشعب أن يسمع لصوت صموئيل وأصر على تملك ملك عليه وقالوا له نريد أن يكون لنا ملك كسائر الشعوب يقضى بيننا ويخرج أمانا ويحارب حروبنا فقال الرب لصموئيل اسمع لصوتهم وول عليهم ملكا •

ويحكى الاصحاحان التاسع والعاشر قصة اختيار شاؤول بن قيس من سبط بنيامين ملكا ومسحه من قبل صموئيل • وقد وصفه الاصحاحان بأنه أطول من كل رجل ولم يكن في بني اسرائيل من هو أحسن منه • وقد التقى صموئيل وهو غلام بمناسبة ضلال أتن

لا يبه وخروجه للبحث عنها ومجيئه اليه ليقدم له تقدمة ويطلب منه الدعاء للرب لارشاده الى الاتن الضالة ، وكان الرب قد أوحى لسموئيل بأنه مسيحى اليه الذى اختاره ليكون قائدا لشعبه يخلصهم من أيدي الفلسطينيين ، فلما جاءه طمأنه على أن أبه ووصاء بعض الوصايا التى يقولها لبعض من يلقاه فى طريق عودته ثم صب على رأسه الدهن وقبله وقال له : ان الرب قد مسحك قائدا على ميراثه ، ثم استدعى الشعب فى المصفاة وقال لهم ان الله قد اختار لكم قائدا لا نظير له فى جميع الشعب ثم استعرض الاسباط فاختر بنيامين واستعرض بنيامين فاختر عشيرة مطرى واستعرض عشيرة مطرى فلم يظهر شاؤول بينهم ثم عرف أنه مختبىء بين الامتعة فقدمه الى بنى اسرائيل فكان أطولهم فهتف الشعب كله ليحيى الملك .

ثم كلم سموئيل الشعب بسنن الملك وكتبها فى سفر ووضعها أمام الرب وصرف جميع الشعب الى منازلهم ، وانصرف شاؤول الى بيته فى جبع وانصرف معه الجيش الذى مس الله قلبه باستثناء بنى بليعال الذين ازدروه وقالوا كيف يخلصنا هذا ولم يهدوا اليه هدايا فتصام عنهم .

وهكذا قام على رأس بنى اسرائيل ملك بعد نحو مائتى سنة من طروثهم على شرق الاردن وغربه وقضائهم حياة مضطربة ، فانتقلت حالتهم بذلك من دور الى دور .

وصوف نسمى دورهم الجديد بدور الملوك اقتباسا من الاسفار
المسماة بأسفار الملوك والتي فصت تاريخ ملوك بني اسرائيل قبل
السبي • ويصح تقسيم هذا الدور الى قسمين الاول دور المملكة
الواحدة والثانى دور المملكتين اللتين انقسمت اليهما المملكة
الواحدة •

والاسفار التى تقص تاريخ ملوك بني اسرائيل ستة وهى سفر
صموئيل الاول والثانى وسفر الملوك الاول والثانى وسفر أخبار
الايام الاول والثانى • وتسمى النسخة الكاثوليكية سفرى صموئيل
يسفرى الملوك الاول والثانى وسفرى الملوك الاخرين بسفرى الثالث
والرابع •

وفى سفرى أخبار الايام الاول والثانى تكرار لكثير مما جاء فى
أصفار صموئيل والملوك من وقائع تاريخ الملوك بشئ من الزيادة حينما
والنقص حينما والاختلاف حينما والتناقض حينما •

وفى الاسفار الستة كثير من الخيال والمبالغة والتهويل والتناقض
كسائر الاسفار ولكن فيها كثيرا من الحقائق فيما هو الأرجح • وبها
ما يدل على أنها كتبت أو أعيد تدوينها بعد السبي وأنها كتبت بأقلام
هديدة كما فيها ما يدل على أنها استقيت من مصادر مختلفة قديمة
ضاعت •

١٧١

وهناك أسفار أخرى ذات صلة بتاريخ الملوك وحقبتهم غير أنها
متسمة بسمة التنبؤات والرؤى وليست تاريخا بالشكل التي جاءت
به الاسفار الستة المذكورة وهي أسفار أشعيا وأرميا وهوشع ودانيال
وعاموس وصفنيا •

هيئة قناة السويس

نبذة عن الجانب الاقتصادى لقناة السويس

ان من ينظر لمرق قناة السويس من الناحية الاقتصادية سيدرك لأول وهلة بعض السر في ثورة الغرب علينا عقب التأميم .

فان أغلب السفن المارة في القناة تأتي من الشرق محملة بالمواد الخام اللازمة للصناعة في الغرب ، وأهمها البترول والمطاط ، أما السفن المتجهة من الغرب الى الشرق ، وهى لا تزيد نسبتها عن خمس السفن المارة جميعها ، فتحمل الى الشرق المواد المصنوعة .

ويتضح من هذا ان اضطراب حرية الملاحة في القناة يلحق الكثير من الاضرار للدول موردة المواد الخام في الشرق والتي تستغلها دول الغرب .

ويبلغ المتوسط اليومي للسفن المارة بالقناة في عام ١٩٥٨ ٥٠ سفينة وهذا العدد يمثل سدس مجموع السفن التي تمر عبر باب البحار ، وقد قدرت حمولتها جميعا عام ١٩٥٥

— قبل التأميم — بحوالى ١١٦ مليون طنا ، بينما ارتفعت هذه النسبة عام ١٩٥٨ الى حوالى ١٥٥٥ مليون . ولم

تتغير نسبة عدد ناقلات الزيت عبر القناة في عام ١٩٥٨ عنها في عام ١٩٥٥ اذ بلغت حوالى ٨-٥٣ في المائة من مجموع السفن المارة بها ، كما بلغ متوسط شحنة القافلة الواحدة

عام ١٩٥٨ حوالى ٢٠.٠٠٠ طن .

ويؤدى طريق القناة الى اختصار المسافة من سنغافورة الى لندن مثلاً بمقدار ٨٣٠٠ ميل ومن الخليج الفارسى

بحوالى ٤٩٠٠ ميل .

والقول بتحول التجارة عن طريق القناة محض خيال يكلف من يفكر فيه أكثر مما تتحمل امكانياته .



أحدث محطات الخدمة والتوزيع
مزودة بالمعدات الحديثة والعمال الفنيين
تخدمك في كل مكان

تحصلين على الفوائد والمزايا
بأدخالك
في صندوق توفير البريد

- فائدتها ٥ درهما سنويا
- الودائع وضمانها مضمونة من قبل الحكومة
- تسهيلا كالتأمين
- لنقل رخصتها الترخيص لدى مكاتب جمارك
- يقبل الودائع من ١٠٠ درهم الى ٢٠٠٠ جنيه
- تدعجوزا المميز على ودائعك وضمانها

مبلغك يستفيد من صندوق توفير البريد

له مكاتب في كافة أنحاء الإقليم الجنوبي



مطابع شركة الاعلانات الشرقية

مجموعـة إخترنالك تصدر

نصف شهرية باللغات العالمية
يشترك في تحريرها واعدادها
مجنة "إخترنالك"

المراسلات : الدار القومية للطباعة والنشر

٣٠ شارع منصور - ص ٠ ب ٢٣٩٨

9

Bibliotheca Alexandrina



0209176

١٠